فمتى تصلي؟ ومتى تحافظ على صلاة الجماعة؟ فلا صلاة بعد الموت، لا صلاة في القبر، لا صلاة يوم القيامة، ولكنك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

الخلاصة: حافظوا على الصلوات الخمس في المسجد في جماعة تفوزوا في الدنيا والآخرة. فمن أراد الدنيا فعليه بالصلاة، ومن أراد الآخرة فعليه بالصلاة، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصلاة، والله الذي يحافظ على الصلاة قد أفلح في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والذي ضيع الصلاة قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



٩٤

الوصية الرابعة والعشرون (و):
«... وثلاثٌ درجات...»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن الكفارات التي قال فيها ﷺ: «**فأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات**»

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن الدرجات التي قال فيها ﷺ:

«**وثلاث درجات**»، ثم قال ﷺ: «**فأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته الأعمال الصالحة التي ترفع درجات المؤمن عند ربه، وهذه الأعمال كما جاءت في الوصية: «**إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**».

عباد الله! أما بالنسبة لإطعام الطعام فقد سبق أنْ تكلمنا عنه، ولكن نُذكِّر، والذكرى تنفع المؤمنين، فنقول: يا أمة الإسلام، إطعام الطعام يرفع الدرجات.

● إطعام الطعام سبب لمغفرة الذنوب، إطعام الطعام سبب لدخول الجنة. يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

ويقول ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خُفَّهُ ماءً ثم أمسكهُ بفيهِ حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له**»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: «**في كل كبدٍ رطبةٍ أجر؟**»[1].

سقا كلباً يا عباد الله فشكر الله له هذا العمل، وغفر له ذنبه، وأدخله الجنة. فما بال الذي يطعم بني آدم! الذي يطعم الفقراء والمساكين!

عباد الله! إطعام الطعام سبب لرفع الدرجات، سبب لمغفرة الذنوب، سبب لدخول الجنة.

• وهذه امرأة بغي من بغايا بني إسرائيل ـ أي: امرأة تفعل فاحشة الزنا ـ رأت كلباً كاد يقتله العطش، فنزلت البئر، وملأت خفها، وخرجت فسقت هذا الكلب، يقول ﷺ: «**فغفر لها به**»[2].

• وفي المقابل يا عباد الله حرمان الجياع سبب لدخول النار، يقول ربنا ـ جل وعلا ـ عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤].

ويقول ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[3].

أما بالنسبة لقيام الليل، وللصلاة في جوف الليل، فقد سبق أن تكلمنا عنها أيضاً، يقول الله ـ ﷻ ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٣)، م: (٢٢٤٤).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٨٠)، م: (٢٢٤٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٣١٤٠)، م: (٢٢٤٢).

عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]. فقام ﷺ حتى تفطرت قدماه، وقال ﷺ لأمته: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم**»[١].

عباد الله! **أما بالنسبة لإفشاء السلام، فنقول وبالله التوفيق:**

أولاً: اعلموا عباد الله أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، فلا يجوز لمسلم أبداً ـ بل يحرم عليه ـ أن يبدأ كافراً بالسلام أو أن يحيي كافراً بالسلام، فالسلام تحية المسلمين فيما بينهم بل قد جعلها رسول الله ﷺ من أفضل خصال الإسلام.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله، أيُّ الإسلام خير؟ ـ أي: أي خصال الإسلام خير؟ ـ فقال ﷺ لهذا السائل: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[٢]؛ أي: من المسلمين.

عباد الله! وإفشاء السلام بين المسلمين له ثمار عظيمة على الفرد وعلى المجتمع في الدنيا والآخرة.

فإفشاء السلام سبب لإلقاء المحبة بين المسلمين، يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[٣]. فهذا الحديث دليل على أن إفشاء السلام يورث المحبة بين المسلمين، فأفشوا السلام فيما بينكم.

وقد علق الرسول ﷺ دخول الجنة على الإيمان، وعلق كمال الإيمان على المحبة، وعلق المحبة على إفشاء السلام.

وفي هذا الحديث ردٌ على مرضى القلوب والعقول الذين يقسِّمون الدين إلى قشور ولباب فيقولون: هذا لباب، وهذه قشور فلا تتكلموا فيها، ولا تقفوا عندها، إذا قلنا لهم: كلِّموا الناس عن إفشاء السلام فإنه

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (١/٤٥١)، طب: (٦/٢٥٨)، طس: (٣/ ٣١١)، هب: (٣/ ١٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٢)، م: (٣٩).

(٣) **صحيح**: م: (٥٤).

يورث المحبة: قالوا: هذه قشور لا نتكلم فيها، علينا باللباب، ولا ندري أعندهم أثارة من علم، أو جاءهم كتاب من السماء يقسِّم الدين إلى قشور ولباب.

عباد الله! إفشاء السلام، سببٌ للمحبة، والمحبة سبب لكمال الإيمان، والإيمان سبب لدخول الجنة، هل نقول عن هذا: إنه قشور؟ لا يا عبادَ الله، ديننا كله لباب جاء من عند الله، نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا ﷺ الصادق الأمين. ولكنْ هناك في ديننا مهم وأهم، ولكن الذي يقول: هذا مهم، وهذا أهم فإنما هو الشرع، وليس هؤلاء مرضى القلوب والعقول، فإذا جلست مع إنسان وتكلمت له عن شيء في ديننا وقال لك: هذه قشور أتركها الآن! فاعلم أنه مريض القلب والعقل.

عباد الله! إفشاء السلام فيه أجر عظيم، وفيه حسنات كثيرة يغفل عنها الكثير من الناس في هذا الزمان.

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عَشرٌ**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه، فجلس، فقال النبي ﷺ: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال ﷺ: «**ثلاثون**»(١) ـ أي: ثلاثون حسنة.

وفي رواية أخرى: جاء رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال ﷺ: «**أربعون**»(٢) ـ أي: أربعون حسنة.

عباد الله! هذه حسنات ضيعَها كثير من الناس.

عباد الله! إذا مررتم بالأسواق، فألقوا السلام على المسلمين، واستمعوا إلى ما يُرَدُّ به عليكم!!.

---

(١) **صحيح**: د: (٥١٩٥)، ت: (٢٦٨٩)، حم: (٤/٤٣٩)، مي: (٢٦٤٠)، حب: (٤٩٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٧١٠)].

(٢) **ضعيف**: د: (٥١٩٦)، [«ضعيف سنن أبي داود» (١١١٢)].

• إنكم تتكلمون عبر الهاتف وتلقون السلام، على كثير من المسلمين أتسمعون ما يقولون؟! إنهم يردون عليك بتحية ما أنزل الله بها من سلطان، السبب في ذلك: الجهل بهذا الدين.

• مسلم يقول لك: السلام عليكم، تقول له: هلا!! يا حسرة على العباد حسنات ضاعت منهم، والسبب هو الجهل بالدين وتقليد الكفار في تحيتهم، واحتفالاتهم، انظروا إلى المستوى الذي نزلت إليه الأمة في هذه الأيام، كثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ يهرول إلى شراء هدية بمناسبة عيد الأم، أفعل ذلك أبو بكر؟ أفعل ذلك عمر؟ أجاء ذلك في كتاب الله؟ لا والله، إنما هو التشبه بالكفار فهم الذين يحتفلون بعيد الأم مرة في كل عام.

المسلم يحتفل بأمه في كل ثانية، وكل دقيقة، وكل ساعة، وفي كل لحظة؛ لأن لها عليه فضل عظيم بعد الله ﷻ، ولكننا بسبب الجهل في ديننا قلَّدنا الكفار، وتشبهنا بهم في الاحتفال بعيد الأم. استحلفكم بالله، أوجدتم عالماً من علماء المسلمين يحتفل بعيد الأم، وهم أتقى الناس لله ﷻ، وهم أعلم الناس بديننا، وهم أحرص الناس على بر الأمهات، هل وجدتم عالماً من علماء المسلمين يحتفل بعيد الأم؟! إنما هو الجهل الذي خيم على بيوت كثير من المسلمين، فتراهم زهدوا في الحسنات فلا يعرفون السلام، ولا إفشاء السلام، ولكنهم على البدع والخرافات، ومشابهة الكفار يتهافتون.

عباد الله! إفشاء السلام فيه بركة من الله على المُسَلِّم والمسلَّم عليه. يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنيَّ، إذا دخلت على أهلك فسلِّم يكن بركةً عليك، وعلى أهل بيتك**»[(١)].

• الرجل إذا دخل بيته يسلِّم، المرأة إذا دخلت على زوجها تسلِّم،

---

(١) **ضعيف**: ت: (٢٦٩٨)، طس: (٦/ ١٢٤)، طص: (٢/ ١٠٠)، [«ض.ج» (٦٣٨٩)].

الولد إذا دخل على أبيه يسلِّم، الولد إذا دخل على أمه يسلم، بيت لا تسمع فيه إلا السلام عليه بركة، وتحفه الملائكة، وتسكنه الملائكة، أما البيوت التي لا تسمع فيها إلا الغناء والموسيقى، وتسمع فيها سب الدين والرب فلا تسكنها إلا الشياطين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

عباد الله! إفشاء السلام سبب لدخول الجنة؛ قال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

عباد الله! السلام، والأمان، والأمن والطمأنينة، والحياة الطيبة في ظل الإسلام فقط، وفي ظل العمل بالإسلام، وبتعاليم الإسلام، فإن تخلينا عن الإسلام فالخوف، والجوع، والضنك، والكرب، والذل بانتظارنا، فاتقوا الله في دينكم، وعودوا إليه عوداً حميداً.

● من أجل ذلك فقد أمر الله عباده بإفشاء السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

● وأمر الرسول ﷺ أمته بإفشاء السلام، فقال ﷺ: «**أفشوا السلام بينكم**»، وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام**»، وقال ﷺ: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلِّم عليه** ـ وفي هذا أمر ـ **فإن حالت بينهما شجرةٌ أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلّم عليه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (١٣٣٤)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].

(٢) **صحيح**: د: (٥٢٠٠)، خد: (١٠١٠)، ع: (١١/ ٢٣٣)، هب: (٦/ ٤٥٠)، [«س.ص» (١٨٦)].

ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ: وذكر منها: «**إفشاء السلام**»(١)، والأمر للوجوب. فإلقاء السلام واجب، والرد على من ألقى السلام واجب.

وإفشاء السلام تتحصل به على حسنات تنفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

عباد الله! السلام: اسم من أسماء الله الحسنى، قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

• السلام: اسم للجنة دار النعيم دار السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

• السلام: تحية الله لعباده المؤمنين يوم القيامة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

• السلام: تحية الملائكة لأهل الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

• السلام: تحية أهل الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا (٢٦)﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

• السلام: تحية الملائكة للبشر، فضيف إبراهيم من الملائكة عندما دخلوا عليه عليه السلام حيوه بالسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٤) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ (٢٥)﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

ويقول ﷺ لعائشة: «**يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام**» قالت: عائشة رضي الله عنها: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٨٠)، م: (٢٠٦٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٤٥)، م: (٢٤٤٧).

• ***عباد الله!*** الزموا إفشاء السلام وتعوَّدوا عليه ولا تبدؤا الكفار بالسلام، فهذا حرام، وإن سلم عليك كافر فقل: وعليكم؛ فإن أراد بسلامه السلام فعليه، وإن أراد بسلامه السام فعليه.

نسأل الله العظيم أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



٩٥

الوصية الخامسة والعشرين (أ):
«إذا مات ابن آدم...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، ومن الإيمان برسولنا محمد ﷺ أن نقبل وصاياه، وأن نعمل بها، وأن نعض عليها بالنواجذ، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا يا عباد الله في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(١)].

وصية واللهِ عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت ألا وهي: العلم النافع، والولد الصالح، والصدقة الجارية.

عباد الله! الله عز وجل خلق الإنسان في هذه الدنيا لعبادته، والإنسان في هذه الدنيا معرَّض للموت في أيةِ لحظة، والموت يأتيه بغتة فينتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى القبر، ويوم القيامة يبعث الله عز وجل الناس من قبورهم للحساب والجزاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

---

(١) **صحيح**: م: (١٦٣١).

عباد الله! والله ـ ﷻ ـ يسجل على الإنسان ما عمل في هذه الدنيا من خيرٍ أو شر في حياته، وبعد مماته، ثمَّ يوم القيامة ينبأ الإنسان بما عمل، أحصاه الله ونسوه، ولذلك قال ـ تعالى ـ في كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]. فالله ﷻ في هذه الآية يخبرنا عن أربعة أشياء:

أولاً: أنه يحيي الموتى.

ثانياً: أنه يكتب ما قدموا؛ أي: في هذه الحياة الدنيا من خيرٍ أو شرٍ، أي حال حياتهم.

ثالثاً: أنه يكتب آثارهم؛ أي: ما تركوه خلفهم بعد الموت في الناس من خير أو شر.

رابعاً: أنه أحصى ذلك في إمام مبين؛ أي: في كتاب واضح بيِّن لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ـ ﷻ ـ يحي الموتى يوم القيامة فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة كثيرة جداً.

فعلى سبيل المثال:

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

- وأما بالنسبة للأدلة على أنَّ الله ﷻ يكتب ما قدموا؛ أي: في حياتهم من خير أو شر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

فيا ابن آدم، ما من كبيرة ولا صغيرة، ما من حركة ولا سكنة، ما من كلمة ولا نظرة، إلا ويسجل عليك في كتاب مبين.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ﷻ يكتب آثارهم؛ أي: ما عملت في الدنيا قبل الموت، وما تركت في الناس من خير أو شر بعد موتك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وقال ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(١)، فالله ﷻ يسجل عليك ما تركت من خير أو شر.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ﷻ يسجل عليك كل شيء في حياتك وبعد موتك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]؛ أي: في كتاب مسطر عليك يا عبد الله.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا**

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٧).

يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»(١).

فيا ابن آدم قَدْ علمت وتبين لك الآن أنك ستموت وتخرج من هذه الدنيا، ولن تخلد فيها أبداً، ويوم القيامة تبعث للحساب والجزاء، فالعاقل هو الذي يستعد للقاء الله بالأعمال الصالحة في حياته وبعد موته.

وفي الجمع الماضية وفي الوصية الرابعة والعشرين تكلمنا عن الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها في حياته، وفي وصية اليوم يخبرنا ﷺ عن الأعمال الصالحة التي تنفعك بعد الموت: العلم النافع، الولد الصالح، الصدقة الجارية.

كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له، صدقة جارية**»، ويقول ﷺ في الحديث الآخر: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علَّمهُ ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناهُ، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراهُ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»(٢).

عباد الله! أول هذه الأعمال الصالحة، والتي نتكلم عنها في هذا اليوم (**العلم النافع**) الذي ينفعك في الدنيا وبعد موتك، ويوم القيامة، وقد جاء الإسلام يرغب في نشر العلم وفي تعليمه، وفي بيانه للناس. قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه**»(٣)، وقال ﷺ: «**بلغوا**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٧٤)، م: (١٠١٦).
(٢) **حسن**: هـ: (٢٤٢)، خز: (٢٤٩٠)، هب: (٣/ ٢٤٧)، [«ص.هـ» (١٩٨)].
(٣) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

عني ولو آية»[(١)]، وقال ﷺ: «**نضَّر الله أمرءاً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع»**[(٢)]، وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»**[(٣)]، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلماً»**[(٤)]، وقال ﷺ: «**إن الله، وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»**[(٥)].

عباد الله! وفي الوقت الذي رغَّب الإسلام فيه بنشر العلم وبين فضل العلم وتعليم الناس حذر الإسلام العلماء من:

أولاً: أن يكتموا هذا العلم، علم الكتاب والسنّة عن الناس.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال ﷺ: «**من سُئلَ عن علم فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»**[(٦)].

وحذر الإسلام ـ يا عباد الله ـ العلماء أن يتركوا العمل بعلمهم، أو أن يخالفوا بأفعالهم أقوالهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٧٤).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٦٥٧)، مي: (٢٣٠)، حب: (٦٦)، طس: (٢/ ٧٨)، بز: (٥/ ٣٨٢)، [«ص.ج» (٦٧٦٤)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٦٧٤).

(٤) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، طس: (٤/ ٢٣٦)، هب: (٢/ ٢٦٥)، [«ص.ج» (٣٤١٤)].

(٥) **صحيح**: ت: (٢٦٨٥)، طب: (٨/ ٢٣٤)، [«ص.ج» (٤٢١٣)].

(٦) **صحيح**: د: (٣٦٥٨)، ت: (٢٦٤٩)، هـ: (١٦٤)، حم: (٢/ ٤٩٥)، ك: (١/ ١٨١)، طس: (٣/ ٣٣٥)، [«ص.ج» (٦٢٨٤)].

فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

انظروا إلى هذا المثل الذي ضربه الله ﷻ للعالم الذي لم يعمل بعلمه، والعالم الذي ركن إلى الدنيا وترك الآخرة.

وقال ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(١).

يقولون للناس: التبرج حرام، ونساؤهم متبرجات، يقولون للناس: الربا حرام وهم يذهبون ليضعوا أموالهم في البنوك، يقولون للناس: الغيبة حرام: ويأكلون لحوم الناس بألسنتهم، عافانا الله وإياكم من هؤلاء.

وقال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحىٰ، فيجتمعُ إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٢).

ثانياً: حذر الإسلام العلماء من الرياء، وحذرهم من أن يبتغوا بأعمالهم غير الله، فقال ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...**» ـ وذكر منهم ﷺ ـ «**ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن**

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣١)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)].

إخوة الإسلام! والله ﷻ لما حذر العلماء من الرياء، ومن كتمان العلم، ومن أن يقولوا ما لا يفعلون بيَّن لهم في كتابه ما ينبغي أن يكونوا عليه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ومعناها: أنه يجب على العالم أن يتعلم العلم ابتغاء مرضاة الله، وأن يعمل بعلمه ليتحصل على رضا الله، وأن يعلم الناس العلم ويحتسب الأجر عند الله، فإذا تعلم لله، وعمل بعلمه، وعلم الناس ابتغاء مرضاة الله، فهذا عالم رباني ينادى في ملكوت السموات والأرض عظيماً.

عباد الله! العلم النافع، هو العلم الشرعي وهو الذي ينفع صاحبه في الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة، ولذلك جاء الإسلام ورغَّب في نشر العلم وفي تعليم الناس، فرغب الإسلام طلاب العلم في العلم، وحضهم على أن يبادروا إلى مجالس العلم، وأن يتعلموا علم الكتاب والسنة.

فقال ﷺ: **«ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»**[(٢)]، وقال ﷺ: **«ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع، حتى يرجع»**[(٣)]، وقال ﷺ: **«من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»**[(٤)].

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٠٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

(٣) **صحيح**: هـ: (٢٢٦)، حم: (٤/ ٢٣٩)، خز: (١٩٣)، حب: (٨٥)، قط: (١/ ١٩٦)، طب: (٨/ ٥٦)، [«ص.ج» (٥٧٠٢)].

(٤) **صحيح**: هـ: (٢٢٧)، حم: (٢/ ٤١٨)، ع: (١١/ ٣٥٩)، ش: (٦/ ٤١٦)، هب: (٢/ ٢٦٣)، [«ص.ج» (٦١٨٤)].

• وفي الوقت الذي رغَّب فيه الإسلام طلاب العلم في طلب العلم حذرهم من الرياء فقال ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[(١)]، الذي يتعلم ليتحصل على الدكتوراه فذلك لا يريد بذلك وجه الله، والذي يتعلم ليصل إلى منصب من مناصب الدنيا فذلك لا يخطر على باله رضا الله.

وقال ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»[(٢)].

فيا طالب العلم! الإخلاصَ الإخلاصَ، يا طالب العلم! الإخلاصُ سر النجاح، إياك إياك أن تتعلم من أجل الدنيا.

عباد الله! تعلموا هذا العلم وعلموه لغيركم، فوالله ما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من ذل وهوان إلا بسبب الجهل، ووالله ما ضاعت الأرض منا إلا بسبب جهلنا بديننا، ووالله ما فرطنا في أعراضنا إلا بسبب الجهل، وما انقسمنا إلى فرق وأحزاب إلا بسبب الجهل، وما كَفَّرَ بعضنا بعضاً إلا بسبب الجهل، وما أكلنا الربا إلا بسبب الجهل، فما وصلنا إليه سببه الجهل، وحالنا لا يخفى عليكم: إقبال شديد على الدنيا وجمعها، وإعراض منا جميعاً ـ إلا من رحم ربي ـ عن العلم وعن الدين.

فيا عباد الله! تعلموا هذا العلم وانتفعوا به في حياتكم، تنتفعوا به بعد مماتكم وتنتفعوا به يوم القيامة.

اللّهم إنا نسألك علماً نافعاً

❀ ❀ ❀

---

(١) **صحيح لغيره**: د: (٣٦٦٤)، هـ: (٢٥٢)، حم: (٢/ ٣٣٨)، حب: (٧٨)، ك: (١/ ١٦٠)، ع: (١١/ ٢٦٠)، هب: (٢/ ٢٨٢)، [«ص.غ.هـ» (١٠٥)].

(٢) **صحيح**: د: (٣٦٥٨)، ت: (٢٦٤٩)، هـ: (٢٦٦)، م: (٢/ ٢٦٣)، طب: (١١/ ١٤٥)، [«ص.ج» (٦٢٨٤)].

٩٦

الوصية الخامسة والعشرون (ب):
«إذا مات ابن آدم»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الخامسة والعشرين والتي يبيّن فيها ﷺ لأمته الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت.

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن العمل الأول ألا وهو العلم النافع، وقلنا: إنه يجب على العاقل في هذه الدنيا أن يتعلم بالليل والنهار، وأن يعمل بعلمه، وأن يدعو الناس إلى هذا العلم.

لقوله ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً**»(١).

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم مع الحديث عن: **الولد الصالح، والصدقة الجارية.**

كما قال ﷺ في وصيته الجامعة: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثه إلا من: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

عباد الله! الولد الصالح عمل صالح ينفع والده بعد موته، والولد يطلق في الكتاب والسنة على الذكر والأنثى.

والأولاد نعمة من نعم الله الكثيرة علينا والتي لا تعد ولا تحصى،

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٤١٤)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: م: (١٦٣١).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فالأولاد نعمة من الله ﷻ.

عباد الله! والأولاد زينة الحياة الدنيا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٤٦].

ولكن اعلموا أن الأموال والأولاد فتنة وامتحان من الله لكم، فمن افتتن بماله وأولاده فقد ضل ضلالاً مبيناً، ومن كان على حذر من فتنة الأموال والأولاد فقد نجا وسلك صراط الله المستقيم.

لذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]. وقد حذر ربنا جل وعلا من فتنة الأموال والأولاد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

فكونوا على حذر من فتنة الأولاد، وأظنكم معي ـ يا عباد الله ـ أن كثيراً من الناس ترك الصلاة، وترك عبادة الله ﷻ، وانشغل بالمال والأولاد، فلا هم له في حياته إلا أن يجمع المال، وأن ينفق على أولاده، حتى وإن كانوا عصاة! حتى وإن كانوا فاسقين! حتى وإن كانوا مجرمين! حتى وإن كانت أشكالهم كأشكال اليهود والنصارى، ورغم ذلك فإنك ترىٰ كثيراً من الآباء يجمع المال، وينفق على أولاده وقد ترك الصلاة وضيع الدين، فهذا الذي فعل ذلك قد افتتن بماله وأولاده فخسر خسراناً مبيناً.

عباد الله! الولد الصالح ينفع والده بعد موت والده كما سمعتم من قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

لكن الولد الصالح لا يأتي إصلاحه في يوم وليلة كما يظن الكثير! لا والله، إنما يحتاج الوالد أن يسهر بالليل والنهار على تربية أولاده ليتحصل على ولد صالح ينتفع به بعد موته.

عباد الله! وتنشأة الولد الصالح تأتي على مرحلتين:

١ ـ مرحلة قبل وجود الولد.

٢ ـ مرحلة بعد وجود الولد.

فانتبهوا يا أولي الألباب، انتبهوا يا من تريدون أن تتركوا بعدكم ولداً صالحاً يدعو لكم، لتنتفعوا بحسناتكم بعد موتكم، فالولد الصالح لمن أراد أن يترك ولداً صالحاً يأتي على مرحلتين.

● أما بالنسبة للمرحلة الأولى: وهي التي تكون قبل وجود الولد فعلى الوالد ما يلي:

أولاً: على الرجل أن يتقي الله ﷻ إذا أراد أن يتزوج، فعليه أن يبحث لأولاده عن أم صالحة تربي أولاده على مائدة الكتاب والسنة، على مائدة القرآن، على مائدة (قال الله) و(قال رسوله ﷺ).

ولذلك قال ﷺ لكل من أراد أن يتزوج: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١).

«فاظفر بذات الدين»، لم يا عبد الله؟ لكي تربي أولادك على مائدة الكتاب والسنة، فالأم الصالحة تربي بناتها على الحجاب، والأم الفاسقة تربي بناتها على التبرج! فالأم الصالحة تربي أولادها على الصدق والأمانة، والأم الفاسقة تربي أولادها على الفجور! وواقعنا يشهد بذلك.

ثانياً: على الرجل إذا تزوج بالزوجة الصالحة، وأراد أن يأتي أهله أن يدعو الله ﷻ أن يجنبه الشيطان حتى إذا رزق بولد في هذه الليلة وقُدّر بينهم بولد فلا يضره الشيطان بعد ذلك.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٢)، م: (١٤٦٦).

قال ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله اللّهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنهُ إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً**»[١].

ثالثاً: على الرجل أن يدعو الله في كل لحظة أن يرزقه الله الذرية الصالحة، وتعلموا من أنبياء الله.

- فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يرزقه ولداً صالحاً، فقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠].

- وهذا زكريا عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يرزقه الذرية الطيبة. قال ـ تعالى ـ على لسان زكريا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨]. وها هم عباد الرحمن واسمعوا ما يقولون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

فعلى الرجل إذا أراد الولد الصالح أن يبحث عن الزوجة الصالحة، وعليه أن يذكر الله إذا أتى أهله، وعليه أن يدعو الله عز وجل أن يرزقه الذرية الصالحة، فكثير من الناس يدعو الله أن يرزقه الذرية فقط دون أن يقيد بالذرية الصالحة؛ فالولد إذا لم يكن صالحاً كان وبالاً وفتنة على والده في الدنيا قبل الآخرة.

عباد الله! وأما المرحلة الثانية وهي ما بعد وجود الولد، فعليك أيها الوالد ما يلي:

أولاً: أن تعق عنه في اليوم السابع، العقيقة التي جهلها الكثير من المسلمين وهي: أن تذبح عن المولود في اليوم السابع وتحلق رأسه، وتتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة، لقوله ﷺ: «**الغلام مرتهنٌ بعقيقته،**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٦١)، م: (١٤٣٤).

تذبح عنه يوم السابع، ويُسمى ويُحلق رأسه»[(١)].

ولقوله ﷺ: «**العقيقة تذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين**»[(٢)]، ولقوله ﷺ: «**مع الغلام عقيقة، فاهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى**»[(٣)].

ثانياً: على الوالد أن يربي ولده على الصلاة وعلى المحافظة على الصلاة، فعليك أن تأمر أولادك بالصلاة لسبع سنين، وأن تضربهم عليها لعشر سنين. فيا أمة الإسلام! يا من ملأتم البيوت بالمفسديون وما قصرتم لحظة واحدة في أن تأتوا بوسائل الفساد لأبنائكم، يقول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(٤)].

ثالثاً: على الوالد أن يربي أبناءه على عقيدة التوحيد، على العقيدة الصحيحة، على لا إله إلا الله. ولنتعلم يا عباد الله من أنبياء الله، أما تقرءون القرآن! فاسمعوا إلى وصية إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام، التي تتضمن الاهتمام بتربية الأولاد على عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

● وهذا يعقوب عليه السلام عند الموت يجمع أبناءه ليطمئن على العقيدة في قلوبهم، أستحلفكم بالله أرأيتم مسلماً في هذا الزمان العجيب ـ إلا من رحم ربي ـ جمع أبناءه عند مرضه وهو في فراش الموت، وهو في اللحظات الأخيرة ليطمئن على عقيدة التوحيد في قلوبهم؟!

---

(١) **صحيح**: ت: (١٥٢٢)، ن: (٤٢٢٠)، هـ: (٣١٦٥)، حم: (٥/ ١٧)، ك: (٤/ ٢٦٤)، طب: (٧/ ٢٠١)، [«ص.ج» (٤١٨٤)].

(٢) **صحيح**: طس: (٥/ ١٣٦)، طص: (٢/ ٢٩)، [«ص.ج» (٤١٣٢)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥١٥٤).

(٤) **حسن**: د: (٤٩٥)، حم: (٢/ ١٨٠)، ك: (١/ ٣١١)، ش: (١/ ٣٠٤)، هب: (٦/ ٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٨٦٨)].

هذا يعقوب عليه السلام جمع أبناءه عند الموت يريد أن يطمئن، على أي شيء؟ على الأموال! على القصور والسيارات؟ لا يا عباد الله، بل يريد أن يطمئن على عقيدة التوحيد.

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

عباد الله! هذا والدٌ رَبَّى وأحسن فوجد عند الموت ثمار التوحيد في قلوب أبنائه.

عباد الله! أخجل أحياناً وأنا أنظر إلى بعض شباب المسلمين ـ ويا أسفاه ـ أبوه يصلي في الصف الأول، وهو قد حلق شعره كما يحلق الكفار، والسلسلة في رقبته، يعلك كما تعلك الأنثى، إذا مشى في الشارع، لا تشعر أنك تنظر إلى رجل، في أي مكان تربى هذا الجيل؟ من أين تشبهوا بهؤلاء؟ من المفسديون، وعندما نقول لكم: المفسديون أفسد عليكم الدين والدنيا، تقولون هذا الشيخ في وادٍ والناس في وادٍ آخر، فلينظر كل منا إلى أولاده إلى أشكالهم، إلى لباسهم، إلى صلاتهم إلى أصدقائهم لتعلموا حقيقة الأمر.

فبعض الأبناء يا عباد الله، في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية واللهِ يدخنون ويشربون الخمر إلا من رحم ربي ـ ويفعل بعضهم ببعض الفاحشة، فليراقب كل منكم ابنه أين يذهب، ولا تتركه يذهب إلى أصدقائه وأنت لا تدري ماذا يصنعون بعدك وفي أثناء غيابك، رَبِّ ولدك على عقيدة التوحيد، وعلى مراقبة الله عز وجل.

هذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يهتم بالأطفال، ويربي الأطفال على عقيدة التوحيد يقول يوماً لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

• وهذا لقمان الحكيم المربي العظيم يربي ولده على التوحيد ويحذره من الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

يربون أبناءهم على العبودية لله وحده، ونحن نربي أبناءنا في هذا الزمان العجيب على العبودية للدينار، على العبودية للمناصب، على العبودية للدنيا وحب الدنيا، فالولد لا يرى أباه إلا لاهثاً خلف الدنيا، لا يرى أباه إلّا جامعاً للدنيا، فيخرج الولد يعبد الدنيا والدينار والمنصب من دون الله، فاتقوا الله عباد الله في أولادكم.

رابعاً: على الوالد أن يربي ولده على مراقبة الله ﷻ، أن يقول له: يا بني اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أن يربي ولده على أن الله مطلع عليه، على أن الله يراه أينما ذهب، وانظروا إلى لقمان وهو يقول لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

خامساً: على الوالد أن يربي أولاده على حب المعروف، وفعل المعروف، وأن يربي أولاده على الأمر بالمعروف، وأن يربي أولاده على بغض المنكر وعلى الابتعاد عنه.

كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

سادساً: على الوالد أن يربي أولاده على التواضع للمؤمنين وعلى خفض الجناح للمؤمنين، وعلى بغض الكافرين وكراهية الكافرين، وأن يحذر ولده من الكبر، فهذا لقمان يقول لابنه وهو يعظه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

عباد الله! إذا اجتهد الوالد على تربية ولده انتفع بعد موته بصلاح ذلك الولد، وذلك لأن الولد من كسب أبيه، ومن سعي أبيه، لقوله ﷺ: «**إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**»(١)، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]، فالولد الصالح من سعي أبيه، ولذلك ينتفع الوالد من ولده بعد الموت.

عباد الله! **وهنا أسئلة مهمة لا بد من الإجابة عليها:**

السؤال الأول: هل يجوز للولد أن يصلي عن والده بعد الموت؟

الجواب: لا يجوز للولد أن يصلي عن والده بعد الموت، وذلك لأن الصلاة من الفروض العينية التي تجب على كل إنسان بعينه. والله ﷻ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].

السؤال الثاني: هل يجوز للولد أن يصوم عن والده بعد الموت؟

الجواب: لا يجوز للولد أن يصوم عن والده بعد الموت، ولكن إذا مات الوالد وعليه صيام من رمضان فعلى الولد وعلى أولياء الميت أن يطعموا عن هذا الوالد عن كل يوم مسكيناً، أما إذا مات الوالد وعليه صوم نذر فعلى أوليائه وأولاده أن يقضوا الدَّين عن والدهم، ودَين الله ـ وهو النذر ـ أحق بالقضاء.

السؤال الثالث: هل يجوز للولد أن يحج عن والده بعد موته؟

الجواب: نعم يجوز للولد أن يحج عن والده بعد موته بشرط أن يكون الولد قد حج عن نفسه أولاً.

السؤال الرابع: هل يجوز للولد أن يقرأ القرآن ثم يقول بعد القراءة: أهب القرآن لوالدي الميت؟

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٢٨)، ن: (٤٤٤٩)، هـ: (٢١٣٧)، حب: (٤٢٥٩)، ك: (٢/ ٥٣)، عب: (٩/ ١٣٣)، هق: (٧/ ٤٧٩)، طس: (٤/ ٣٨٠)، [«ص.ج» (٢٢٠٨)].

الجواب: لا يجوز للولد أن يفعل ذلك أبداً؛ لأن الله ـ عَجَّلَ ـ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] ولكن كما قلنا: الولد الصالح من سعي أبيه فإذا قرأ الولد الصالح القرآن أو صلى أو عمل صالحاً أخذ أجراً عظيماً ولوالديه مثله.

السؤال الخامس: هل الولد الفاسق العاصي المجرم المنحل البعيد عن الدين يضر والده بعد موته؟

الجواب: لا؛ لأن الله عَجَّلَ قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولكن إذا أهمل الوالد أولاده قبل موته فالله سائله يوم القيامة عنهم، فإذا فرط الوالد في أولاده وأتى لهم بالمفسديون، وبوسائل اللهو واللعب، وتركهم يتركون الصلاة، وترك البنات يتبرجن، فالله سائله يوم القيامة عن هذه الرعية التي ضيَّعها، قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)].

عباد الله! ومن الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت [الصدقة الجارية] كما قال ﷺ في الوصية: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**... وذكر، **صدقة جارية**».

والصدقة الجارية يا عباد الله كثيرة وكثيرة جداً بينَّها الرسول ﷺ في الحديث الآخر حيث يقول ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناهُ، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراهُ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته**»[(٢)].

فالصدقة الجارية تنفع بعد الموت، يقول ﷺ في الحديث: «**أو مصحف ورثّه**» المصحف كتاب الله وها نحن يا عباد الله: وقد سمعتم في هذه الأيام بمَنْ يُسمون (عبدة الشيطان) الذين اعتدوا على كتابِ الله،

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٤١٦)، م: (١٨٢٩).

(٢) **حسن**: هـ: (٢٤٢)، خز: (٢٤٩٠)، هب: (٣/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٢٢٣١)].

ولوثوه،... على أيِّ مائدةٍ تربَّىٰ هؤلاءِ يا عبادَ الله، الجواب بَيِّنٌ مِنْ اسمهم.. لقد تربوا على مائدة الشيطان، فأصبحوا عبيداً له فلا عجب أن يفعلوا ما فعلوا بالقرآن، ووالله أقول لكم: إن لم تربوا أبناءكم على العبودية لله فسيكونون في يومٍ ما عبيداً للشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

عباد الله! اعلموا أن هناك تعاوناً بَيْن شياطين الإنس وشياطين الجنِّ، وشيطانُ الجنِّ لا يخدم شيطانَ الإنس إلَّا بعد أن يقوم هذا الأخيرُ ببعض المعاصي الكفرية كالاعتداء على كتاب الله، أو تلويثه، كما فعل عبدة الشيطان، يقول الله ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

أي: كذاب يفعل المعاصي التي لم تخطر لك على بال، وأنا أقول: وراء هذه الفعلة وهي الاعتداء على كتاب الله السحرة والمشعوذين.

ولذلك أقول: آن الأوان لأولياء الأمور أن يضربوا بأيد من حديد على السحرة والمشعوذين الذين طالما ذكرناهم، وحذرنا منهم، ولكن تركوهم، والآن وصل بهم الأمر أنهم جعلوا الناس يعبدون الشيطان من دون الله ويعتدون على كتاب الله فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عباد الله! المصحف صدقة جارية إذا اشتراه الإنسان لأولاده في البيت، أو اشتراه فأهداه لأحد من المسلمين، أو اشتراه فوضعه في بيت من بيوت الله فهو صدقة جارية تنفعه بعد الموت.

ويلحق بالمصحف كتب العقيدة، وكتب التفسير، وكتب الفقه والكتب الإسلامية الصحيحة التي تنفع المسلمين، إذا اشتراها الإنسان ووضعها في بيته بدل المفسديون فهي صدقة جارية له بعد الموت، أو إذا أهداها إلى أحد طلاب العلم، أو وضعها في بيت من بيوت الله، فهي صدقة جارية تنفعه بعد الموت.

وقال ﷺ: «**أو بيت لابن السبيل بناه**».

أي: أن تبني بيتاً يا صاحب المال وتوقفه لابن السبيل الذي يمر بالبلد فينام فيه، فيدعو لك، فهذه صدقة جارية بدل أن تترك الأموال مكدسة في البنوك الربوية، فتصدقوا بها يا عبادَ الله صدقة جارية تنفعكم بعد الموت وتفرحوا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وكذلك «أو نهر أجراه أو بنى لله مسجداً».

عباد الله! المساجد هي بيوت الله في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦] وقد جعل الله ﷻ عمارة المساجد عنوان الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]. . .

رغب الإسلام في بناء المساجد، فقال ﷺ: «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**»(١).

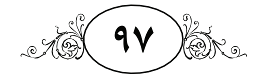
عباد الله! بادروا بالأعمال الصالحة فالموت يأتي بغتة.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٩)، م: (٥٣٣).



الوصية السادسة والعشرين:
«اغتنم خمساً قبل خمس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع الوصية السادسة والعشرين:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمساً قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**(١).

موعظة بليغة، ونصيحة غالية، ووصية عظيمة، من رسول عظيم يحث أمته فيها على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، ويبيّن لهم فيها أن اليوم حياة وغداً موت، واليوم صحة وغداً مرض، واليوم فراغ وغداً شغل، واليوم شباب وغداً هرم، واليوم غنى وغداً فقر.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن هذه الوصية في هذا اليوم بالذات أمور ثلاثة:

الأمر الأول: الفتن التي تموج بالناس كموج البحر، والتي تحيط بالناس من كل جانب كالليل المظلم، الرجل يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، الرجل يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا، فتن والله كقطع الليل المظلم، بل إننا نسمع عن أشياء ما سمعنا بها من قبل، وإنما هي الفتن.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، حل: (٤/ ١٤٨)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].

أما سمعتم عن شباب تربوا على شاشات المفسديون، عن شباب تربوا على أشرطة (الفيديو)، عن شباب تربوا على الترف يلعبون بالمال حيث شاءوا ومتى شاءوا، وكيف شاءوا، ثم لما ترك أولياء الأمور لهؤلاء الحبل على الغارب عصوا الله ﷻ، وبارزوا الله بالمعاصي بل الطامة الكبرى أنهم أعلنوا صراحة أنهم يعبدون الشيطان من دون الله، فهل من بعد هذه الفتن من فتن يا عباد الله؟!

ولكنها كما قلنا فتن كقطع الليل المظلم، والشاب إذا أخرج يده في وسط هذه الفتن لا يكاد يرى يده من شدة الظلام.

والله ﷻ حذرنا من هذه الفتن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

فيا من جاء لأولاده بوسائل الفساد إلى البيت، وترك ابنه يسهر على أفلام (الفيديو) ويسرح ويمرح أخشى أن يأتي عليك يومٌ يا عبد الله لتجد ولدك هذا الفاسد يقول لك: أنت تعبد الله، وأنا أعبد الشيطان! إنها فتن من كل جانب كقطع الليل المظلم.

ورسولنا الكريم ﷺ يحذر من كل هذه الفتن التي ستأتي في المستقبل ـ وقد جاءت ـ فيقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(١)، وكأنه ﷺ يقول: إن النجاة من الفتن بالأعمال الصالحة.

إذا اشتدت الفتن فعلينا أن لا نجلس لتضييع الأوقات في القيل والقال، لا بل علينا أن نبادر بالأعمال الصالحة وهذا هو مفهوم الحديث: بادروا بالأعمال الصالحة، لِمَ يا رسول الله؟ فستكون فتناً كقطع الليل المظلم، ففي الوقت ـ يا عباد الله ـ الذي سمعتم فيه بشباب يعلنون على

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

الملأ أنهم يعبدون الشيطان من دون الله، ويعتدون على كتاب الله في مساجد الله وفي بيوت الله، في هذا الوقت عليكم أن تعودوا إلى ربكم وأن تبادروا بالأعمال الصالحة، وأن تجتهدوا في الطاعة لله ﷻ.

عباد الله! أردت أن أقول لكم في وسط هذه الفتن بادروا بالأعمال الصالحة، ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، فكم من رجل نزل به الفقر فأنساه ذكر الله ودفعه إلى معصية الله، وكم من فقير سرق بسبب الفقر وكم من فقير ارتشى بسبب الفقر، وكم من فقير بسبب الفقر أخذ الربا واقترض من البنوك، ماذا تنتظرون؟ أو غناً مطغياً؟! أو هرماً مفنداً؟! أو موتاً مجهزاً؟!

● ابن آدم! اغتنم خمساً قبل خمس، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك، وخذ من غناك لفقرك، وعد نفسك من أصحاب القبور، فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

● ابن آدم! اغتنم خمساً قبل خمس، فالأيام تمر والعمر ينقضي وما هي إلا أيام أو ساعات وتخطف من هذه الدنيا إلى الآخرة فتندم في وقت لا ينفعك فيه الندم.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ وأيامُنا تُطْوى وهنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنهُ إذا ما تخطتُه الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا فكيفَ بهِ والشيبُ للراس شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ

الأمر الثاني: ـ الذي دفعني يا عباد الله للحديث عن هذه الوصية ـ أن كثيراً من الناس يضيعون الأوقات الطويلة والساعات الطويلة في اللهو واللعب وكأنهم سيخلدون في هذه الدنيا لا يموتون! ساعات طويلة أمام المفسديون، ساعات طويلة في القيل والقال! ضيعوا الصحة في معصية الله، وضيعوا الأوقات في معصية الله، وفي طاعة الشيطان، فأردت أن أقول

لهؤلاء: يقول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(١)]، الصحة نعمة، والرسول ﷺ يقول في وصيته التي معنا: «**اغتنم خمساً قبل خمس: صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك**».

فانظروا إلى كثير من الشباب وقد ضيعوا الأوقات في معصية الله، فمتى يا شباب الإسلام نتعلم؟ ومتى يا شباب الإسلام ندعوا إلى هذا الدين؟ ومتى نعبد الله ﷻ؟ أنسيتم أَن الموت إذا جاء انقطع عمل ابن آدم.

● واعلموا عباد الله أن الصحة نعمة، وأن الفراغ نعمة تُسأل عنهما يوم القيامة أمام الله.

يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع**: ـ فذكر منها ـ **عن عمره فيم أفناه**»[(٢)] يا ابن آدم! إن عمرك في هذه الدنيا ستون سنة، فماذا فعلت في هذه الأعوام والسنين؟ أجب يا ابن آدم! الذي يُغنِّي ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يُضْحِكُ الناس طوال النهار ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يبيع الخمر ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يبيع أشرطة الغناء والصور العارية للشباب، ماذا يقول لربه يوم القيامة؟.

«**وعن جسده فيم أبلاه**» ـ أي: الصحة، وفي رواية أخرى: «**وعن شبابه فيما أفناه**»، ستُسأل عن عمرك عامة، وعن سن الشباب خاصة، الشبابَ! الشبابَ! وانظروا معي إلى شوارع المسلمين وإلى شباب المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ شعورهم كشعور الكفار، ثيابهم كثياب الكفار ـ والله لقد رأيت بأُم عيني في شوارع المسلمين شاباً قد أطال شعره، وربطه من الخلف كما تفعل الإناث، ولبس قرطاً في أذنه اليسرى، فياللأسف الشديد إذ تراه يحمل هوية مسلم ولا يعرف المساجد أبداً! ـ،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٩).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، ع: (٣٥١/١٣)، طس: (٣٠٧/٧)، [«ص.ج» (٧٣٠٠)].

شباب طوال يومهم على أفلام الفيديو، شباب مخنث، فهل هؤلاء يحررون الأرض ويرفعون راية (لا إله إلا الله) يا أمة الإسلام؟ ما جاء هؤلاء من الخارج إنهم في بيوتنا ومنهم من يصلي أبوه معنا، فاتقوا الله، فالشباب نعمة، والصحة نعمة، والفراغ نعمة تُسأل عن ذلك يوم القيامة.

ابن آدم! السفر طويل، فاغتنم خمساً قبل خمس، وتزود لهذا السفر.

تزودْ من التقوى فإنكَ لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيح ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكمْ من عليلٍ عاش حيناً من الدهرِ
وكمْ من صغارٍ يُرْتجى طولُ عمرِهِمْ ... وقدْ أُدْخِلت أجسادُهم ظلمةَ القبر
وكم من فتىً يمسي ويصبحُ ضاحكاً ... وقدْ نُسجتْ أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلةَ القدرِ

أما الأمر الثالث: ـ الذي دفعني للحديث عن هذه الوصية في هذه الأيام بالذات أننا في الأيام العشر من ذي الحجة، وهي أيام مباركة، الأعمال الصالحة فيها مقبولة عند الله ـ يحبها الله ﷻ.

يقول ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» ـ يعني: أيام العشر ـ، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[(١)].

فأردت أن أذكر نفسي وإخواني بالإكثار من الأعمال الصالحة في هذه الأيام من صلاة، وصيام، وصدقة، وقراءة للقرآن، وإطعام للطعام، وغير ذلك.

تذكر يا عبد الله بأن في هذه الأيام يوم عرفة. سُئِل رسول الله ﷺ: عن صوم عرفة؟ قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**»[(٢)]، فصيام يوم عرفة

---

(١) **صحيح**: د: (٢٤٣٨)، ت: (٧٥٧)، هـ: (١٧٢٧)، حم: (١/ ٣٤٦)، مي: (١٧٧٣)، ش: (٤/ ٢٢٨)، هب: (٣/ ٣٥٣» (ص.غ.هـ» (١٤٢٨)].

(٢) **صحيح**: م: (١١٦٢).

له أجر عظيم، وكثير من الناس والحمد لله يحافظ على صيام هذا اليوم. فأُذكر نفسي وإياكم أن تجتهدوا في هذه الأيام بالأعمال الصالحة وبالصيام لعلكم ترحمون، لعلكم تنجون يا عباد الله من هذه الفتن التي تحيط بنا من كل جانب.

عباد الله! يقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك**..».

ففي هذه الوصية الرسول ﷺ يقول: «**اغتنم... وغناك قبل فقرك**»، فاليوم غنى وغداً فقر، فمن منَّ الله عليه وأعطاه المال الحلال فلا يحرم نفسه من أن يضحي في يوم العيد أو في أيام التشريق الثلاثة، فالأضحية لها أجر عظيم عند الله إذا أردت أن تتقرب بها وتبتغي بها وجه الله، وهذا عمل صالح تجعله لك عند الله ينفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله! والأضحية مقبولة عند الله بشروط وهي:

الشرط الأول: أن تبتغي بها وجه الله، فتذبحها تقرباً إلى الله، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فكما أنك تصلي لله فعليك أن تذبح هذه الأضحية تقرباً إلى الله.

الشرط الثاني: أن تكون هذه الأضحية من بهيمة الأنعام لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]، وبهيمة الأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم بنوعيها (الضأن والماعز) فلا تجزىء الأضحية من غير بهيمة الأنعام.

الشرط الثالث: أن تكون الأضحية خالية من العيوب لقوله ﷺ: «**أربعة لا يجزين في الأضاحي: العوراء البَيِّنُ عَوَرُها، والمريضة البَيِّنُ**

مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والعجفاء التي لا تُنقي»[(١)]، فيجب أن لا يكون أي عيب مما ذكر في الأضحية.

الشرط الرابع: أن تكون الأضحيه قد وصلت السن المعتبر شرعاً.

الشرط الخامس: أن تذبح الأضحية بعد صلاة العيد، فمن ذبح قبل صلاة العيد فإنما هي ذبيحة يقدمها لنفسه وأولاده، ومن ذبح بعد صلاة العيد فقد أتم نسكه، وأصاب سنة المسلمين.

وذلك لقوله ﷺ: «**من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة** ـ أي: بعد صلاة العيد ـ **فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى**»[(٣)].

فإذا توفرت هذه الشروط في الأضحية فهي مقبولة ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الله.

عباد الله! واعلموا أن حكم الأضحية واجب على المستطيع، فمن استطاع أن يضحي فيجب عليه أن يضحي.

والدليل على وجوب الأضحية على المستطيع والقادر، قوله ﷺ: «**من كان له سعة ـ أي: من المال ـ ولم يضح فلا يقربن مصلانا**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى**»[(٥)]، وهذا أمر، والأمر للوجوب. ومن أراد منكم أن يضحي ورأى هلال ذي الحجة فليمسك عن قص أظفاره وشعره فقط، أما الاغتسال والجماع فلا شيء عليه في ذلك.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

---

(١) **صحيح**: ن: (٤٣٦٩)، هـ: (٣١٤٤)، حم: (٤/ ٣٠١)، مي: (١٩٤٩)، خز: (٢٩١٢)، حب: (٥٩١٩)، هق: (٩/ ٢٧٣)، [«ص.ج» (٨٨٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٣٦)، م: (١٩٦١).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٢٤٢)، م: (١٩٦٠).

(٤) **صحيح**: هـ: (٣١٢٣)، حم: (٢/ ٣٢١)، ك: (٤/ ٢٥٨)، قط: (٤/ ٢٨٥)، هب: (٥/ ٤٨١)، [«ص.ج» (٦٤٩٠)].

(٥) **صحيح**: خ: (٥٢٤٢)، م: (١٩٦٠).



الوصية السابعة والعشرون:
«إياكم والظنَّ...»

عباد الله! من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يأخذوا وصاياه، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ ليسعدوا في الدارين الدنيا والآخرة.

ولذلك يا عباد الله فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع الوصية السابعة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر أمته فيها من سوء الظن بالمسلمين، وقد جاء هذا التحذير وهذا النهي عن سوء الظن بالمسلمين في كتاب ربنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

عباد الله! والظن السيء: هو أن يظن الرجل بأهل الخير من المؤمنين شراً. وهذا حرام بالكتاب والسنة، بل الواجب على المؤمن أن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١٩)، م: (٢٥٦٣).

يظن دائماً بالمؤمنين والمؤمنات خيراً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا﴾ [النور: ١٢]. .

● ويجب على المؤمن أن يحسن الظن بربه كما قال ربنا في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**»(١).

وكما قال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ**»(٢).

عباد الله! والسؤال المهم هنا هو:

لماذا نهى ربنا في كتابه، ونهى رسولنا ﷺ في سنته عن سوء الظن بالمسلمين؟

الجواب: **أولاً**: لأن سوء الظن من أخلاق وشيم المنافقين والكافرين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ۝١٢﴾ [الفتح: ١٢].

فدل ذلك يا عباد الله على أن سوء الظن من شيم وأخلاق المنافقين والكافرين.

ثانياً: ـ نهى ربنا ﷻ ونهى رسولنا ﷺ عن سوء الظن ـ لأن سوء الظن كذب وافتراء، كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**».

ثالثاً: لأن سوء الظن سبب لانتشار الأمراض الخطيرة في المجتمع

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٧٠)، م: (٢٦٧٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٧٧).

المسلم والتي تعمل على تحطيم وتفكيك المجتمع كالتجسس، والتحسس، والتنافس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، ولذلك قال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً...**»[(١)].

رابعاً: لأن سوء الظن يدفع إلى التجسس وهو الباعث على الغيبة كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾..

عباد الله! إذا أصيب الإنسان بهذا المرض الخطير ـ وهو سوء الظن ـ دفعه ذلك إلى التجسس، والتجسس هو: أن يحاول الرجل أن يهتك ستر الآخرين، وهو الدافع إلى أن يبحث الرجل عن عورات الآخرين، وأن يتتبع عيوبهم، وهذا يا عباد الله حرام في الكتاب والسنة.

ورسولنا ﷺ يقول: «**ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[(٢)]، والعكس صحيح يا عباد الله فمن فضح مسلماً فضحه الله في الدنيا والآخرة. والتجسس: هو أن يحاول الرجل أن يفضح الآخر، ومن فضح مسلماً في الدنيا فضحه الله في الدنيا والآخرة، فالتجسس حرام قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، وقال ﷺ: «**ولا تجسسوا**»، وقال ﷺ لهؤلاء الذين يتجسسون على المؤمنين ويحاولون أن يفضحوهم ويتتبعوا عوراتهم، قال لهم ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١٩)، م: (٢٥٦٣).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٠)، م: (٢٥٨٠).
(٣) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، ع: (١٣/ ٣٤٣)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

فهذا تحذير من رسول الله ﷺ لهؤلاء الذين يحاولون أن يفضحوا المسلمين ويبحثوا عن عورات المسلمين، ويتتبعوا عيوب المسلمين، ويحاولوا نشرها في المجالس.

عباد الله! الذي يصاب بسوء الظن يدفعه هذا المرض إلى التجسس، والذي يصاب بسوء الظن يدفعه ذلك إلى الغيبة.

والغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكره من خلفه. يقول رسولنا ﷺ يوماً لأصحابه: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه**»(١)؛ أي: رميته ببهتان عظيم.

والغيبة: حرام بالكتاب والسنّة كما سمعتم، إذ يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]. . .

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين**»(٢).

فيا عباد الله! كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه من شيم المنافقين والكفار.

- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه كذب وافتراء.
- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه سبب لانتشار الأمراض الخطيرة.
- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه الدافع للتجسس الباعث على الغيبة.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٩).

(٢) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٩٨٤)] وقد تقدم تخريجه.

سوء الظن بالمسلمين سبب لكل شر، فكونوا من سوء الظن على حذر، وخذوا بهذه الوصية العظيمة: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**».

عباد الله! كيف يُنَجِّي أحدنا نفسَه من هذا المرض الخطير؟

أولاً: عليك يا أخا الإسلام أن تتبيّن قبل أن تُسيء الظن بأخيك خشية أن تصيب قوماً بجهالة فتصبح على ما فعلت نادماً إلى يوم القيامة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، ـ وفي قراءة صحيحة: (فتثبتوا) ـ ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فعلى المسلم أن يتبيّن قبل أن يسيء الظن بأخيه.

ثانيا: على المسلم أن يعلم أنه إذا أساء الظن بأخيه فإن ذلك سيدفعه إلى التجسس، وإذا تجسس دفعه ذلك إلى الغيبة، والتجسس حرام، والغيبة حرام، ولذلك قال ﷺ لمعاذ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى، فأخذ بلسانه فقال: تكُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، هل يَكُبُّ الناسَ على وجوههم في النار إلَّا حصائد ألسنتهم**»(١).

ثالثاً: على الإنسان قبل أن يسيء الظن أن يعلم أنه إذا أساء الظن بأخيه فإنه سيخسر من حسناته يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، طب: (٢٠/ ١٠٣)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[(١)].

رابعاً: على المسلم قبل أن يسيء الظن أن يعلم أنه راجع إلى الله، وأنه موقوف بين يدي الله، وأن الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة ولذلك ختم ربنا جل وعلا الآية التي نهى فيها عن الظن بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ أي: خافوا الله؛ أي: خافوا الوقوف على الميزان للحساب والجزاء. وختم رسولنا ﷺ حديثه الذي نهى فيه عن الظن بقوله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخواناً**».

فيا إخوة الإسلام! انظروا إلى مجالس المسلمين اليوم تمتلئ بالغيبة والنميمة، والسبب سوء الظن الذي دفع صاحبه إلى التجسس، ودفعه إلى الغيبة، ثم دفعه إلى الحسد، وإلى التباغض والتدابر، فهذه أمراض خطيرة تنتشر بين المسلمين سببها سوء الظن، فكونوا من سوء الظن على حذر.

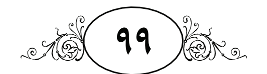
اللّهم احفظنا وإياكم من سوء الظن

ربنا لا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم



---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).



الوصية الثامنة والعشرون: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرُن بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم فيها تحذير وتهديد للأمة؛ أنها إن تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبها الله ﷻ بعقاب منه، ثم تدعوه فلا يستجاب لها، وذلك:

أولاً: إذا وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زادت المعاصي، فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرت الذنوب والمعاصي انتشر الفساد في البر والبحر، كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وإذا كثرت المعاصي والذنوب وظهر الفساد في البر والبحر، وكثر الخبث عاقب الله الأمة بعقاب منه، وأنزل الله عذابه على الأمة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ. فعن زينب بنت جحش ﷺ أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح**

---

(١) **حسن**: ت: (٢١٦٩)، حم: (٥/ ٣٨٨)، هب: (٦/ ٨٤)، هق: (١٠/ ٩٣)، [«ص.ج» (٧٠٧٠)].

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلَّق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[١].

يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»، إذا كثرت المعاصي، وأظنها قد كثرت يا عباد الله، دخل المفسديون في كل بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ وعلق (الستلايت) على بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ ودخل الربا بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ وانتشر التبرج والزنا والغيبة وهذا شيء ظاهر لا خلاف فيه، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا ـ مبيناً أن العقاب من الله ينزل إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرُن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٣، ١٤]؛ أي: للعصاة.

ثانياً: أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب وظهر الفساد في البر والبحر، وهل تدرون يا أمة الإسلام من هم الذين يعملون في هذه البيئة التي قد امتلأت بالمعاصي؟ إنهم المنافقون والمنافقات.

فإن المعاصي والذنوب إذا انتشرت ظهر النفاق، وعمل المنافقون والمنافقات، وأخذوا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهذا ظاهر وبيِّن، أخبرنا بذلك ربنا ـ في علاه ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ﴾ ـ أي بعضهم يشبه بعض ـ ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٦٨)، م: (٢٨٨٠).

إذا لم نأمر بالحجاب ظهر المنافقون يأمرون الناس بالتبرج! وأظنه أمر واضح أمامكم، إذا لم نأمر الناس بأكل الحلال ظهر المنافقون يأمرون الناس بالربا! إذا لم نأمر الناس بالتوحيد ظهر المنافقون يدعون الناس إلى الشرك! إذا لم نأمر الناس بالسنة ظهر المنافقون والمبتدعة يدعون الناس إلى البدع والخرافات!

ثالثاً: إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حلت بنا اللعنة. كما لعن ربنا بني إسرائيل قبلنا، متى؟ عندما عصوا وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

عباد الله! كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل منهم ـ أي العاصي ـ فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أَكِيلَهُ وشريبهُ وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

وهذا واقع فينا اليوم يا عباد الله، فالرجل في بيته يرى زوجته وابنته متبرجة، ويرى أولاده قد تركوا الصلاة ويقترفون المعاصي بالليل والنهار، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؛ بل تراه يعمل بالليل والنهار، ويأتي بالمال وينفق على هؤلاء ويآكلهم ويشاربهم، ويجالسهم، فلما فعل ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فتراهم يفعلون المنكر ولا يبالون، وتراهم يتركون المعروف ولا يخافون، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

رابعاً: إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب، وإذا كثرت المعاصي والذنوب أهلك الله الصالح والطالح.

إذا نزل الهلاك من رب العالمين بالأمة أخذ الصالح والطالح، ويضرب لنا رسولنا ﷺ مثلاً عجيباً في ذلك، فيقول ﷺ: «**مثل القائم على**

حدود الله ـ وهو الصالح ـ **والواقع فيها** ـ وهو الفاجر الفاسق ـ **كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»**(١).

أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن السفينة ستغرق بخرقهم إياها، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم مما أرادوا نجوا ونجوا جميعاً، فإذا تركوا العصاة يفعلون بالسفينة ما أرادوا هلكوا جميعاً، فالغرق يكون للصالح والطالح، للأعلى والأسفل، وإذا أخذوا على أيدي العصاة الذين هموا بخرق السفينة نجوا جميعاً.

إخوة الإسلام! ربما لم يفهم الكثير هذا المثال فأوضح، رجل صالح في بيته مع زوجة صالحة وفي أولاده الصلاح، وفي البيت شاب منهم فاسد مجرم عاصٍ لله ﷻ يقترف المعاصي، ويؤذي الناس، فهذا الشاب الفاسق من هذه الأسرة الصالحة كان إذا مرّ الناس من أمام بيتهم رماهم بالحجارة، فمات رجل من المارة بهذا الحجر، فجاء أهل الميت فأحرقوا هذا البيت الصالح الذي فيه هذا العاصي بالنار فمات من فيه من الصالح والطالح.

فيا عباد الله! لما جاء الهلاك والحرق أخذ الصالح والطالح، ولكن لو أن هذا الوالد الصالح والأم الصالحة ضربا على يدي هذا الولد الفاجر من اللحظة الأولى ما آلَ أمرهم إلى هذه النهاية.

مثال آخر: رجل صالح، وزوجة صالحة، وبيت يعبد الله ﷻ، ظهرت فيه فتاة مجرمة متبرجة تتعامل بما لا يرضي الله، ومرت الأيام واقترفت هذه الفتاة فاحشة الزنا، فعند وقوع الزنا من هذا البيت هل أصاب الفتاة وحدها أم طأطأ رؤوس الجميع؟ أظن أن هذه الفتاة قد

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٦١).

سودت وجوه الجميع، وطأطأت الرؤوس التي كانت عالية، وأخرست الألسنة التي كانت بليغة وذلك كله بسبب أَنهم لم يأمروا هذه الفتاة من اللحظة الأولى بالحجاب وبالمعروف ولكن تركوا لها الحبل على الغارب.

فيا أمة الإسلام! إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزل بنا العذاب وأخذ الصالح والطالح، فعلينا أن نأخذ بوصية رسول الله ﷺ فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كل حسب استطاعته.

كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

عباد الله! **إذا فعلنا ذلك وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فماذا سيكون لنا؟**

أولاً: نكون بذلك خير أمة: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه علق الخيرية على العقيدة الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثانياً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نصرنا الله على أعدائنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

ولعل كثير من الجماعات الإسلامية في هذا الزمان يهتمون فقط بتكفير الحاكم فيقولون: الحاكم كافر، الحاكم كذا وكذا، ولكنهم لم يهتموا بالناس فلم يأمرونهم بالمعروف ولم ينهونهم عن المنكر، عبادَ الله، إذا كان الحاكم في أي بلد من البلاد فاسقاً يقترف المعاصي فالشعب يقترف من المعاصي ما هو أكثر مما يرتكب، يقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩] والجزاء مِنْ جنس العمل، فكثير من الجماعات اليوم لا همَّ لهم إلا ذلك: هذا كافر، هذا فاجر، هذا فاسق، ولم ينشغلوا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نقول لهم: الله ﷻ يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

● إذا ضيّعنا الصلاة، ومنعنا الزكاة، وتركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل ننتظر النصر من الله، لا يا عباد الله، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، إذن النصر يا عباد الله! يكون إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، أتدرون (لم)؟ لأنه إذا أمر كل منا بالمعروف ونهى عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا قلت المعاصي تغير حالنا إلى ما يحب ربنا ويرضى، وإذا تغير حالنا إلى ما يحب ربنا ويرضى غيَّر الله ما نزل بنا إلى ما نحب ونرضى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: ١١].

ثالثاً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نزلت علينا رحمة الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

رابعاً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نجانا الله من العذاب إذا نزل على الظالمين الفاسقين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥].

خامساً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر تحصلنا على الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

عباد الله! سعادة الدنيا والآخرة في الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ولكن يا عباد الله الآمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يتحلى بالصفات التي جاءتنا في كتاب ربنا وفي سنّة نبينا ﷺ حتى ينجح في دعوته، فمن أراد أن ينجح في دعوته فعليه أن يتصف بهذه الصفات، وهي مأخوذة من كتاب ربنا، فالله ﷻ يقول في كتابه على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ إلى أن قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٤ ـ ٨٨].

صفاتٌ واللهِ لو تحلينا بها، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر لتغير حال الأمة.

الصفة الأولى في الداعية الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر: أن يدعو الناس على علم وبصيرة كما قال شعيب: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾؛ أي: أن يكون الرجل على بينة مما يدعو إليه، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ أي: على علم، وعلى بينة.

فيجب على الداعية أن يكون على علم وبصيرة؛ لأنه إذا دعا بدون علم أفسد أكثر مما يصلح، فلربما دعا الناس إلى الشرك وهو يظن أنه يدعوهم إلى التوحيد، وربما دعا الناس إلى البدعة وهو يظن أنه يدعوهم إلى السنّة، وهكذا.

الصفة الثانية: يجب على الداعية أن يكون عبداً لله وحده في دعوته، وفي طلبه للرزق، وفي صلاته، وفي زكاته، وفي أمره بالمعروف، وفي نهيه عن المنكر، ولا يكون عبداً للدرهم والدينار ولا للمنصب ولا للوظيفة، فإنه إن فعل ذلك فشل في دعوته، لم يا عباد الله؟ لأن الرزق على الله، وإذا كان الرزق من الله ﷻ فعلى الداعية أن يأخذ سبيلاً شرعياً لطلب الرزق ثم بعد ذلك لا يبالي، فالله ﷻ يرزقه كما قال شعيب

لقومه: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾؛ أي: رزقي من الله وليس منكم وما من نبي جاء إلى قومه إلا وهو يقول لهم أولاً: يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله، ويقول ربنا جل وعلا لرسوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]. فعلى الداعية أن يعلم أن الرزق من عند الله.

الصفة الثالثة: يجب على الداعية أن يعمل بما يقول؛ لأن الله ﷻ يمقت أن يعمل الإنسان بغير ما يقول أو أن يخالف بعمله قوله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

فالداعية إذا قال للناس: التبرج حرام، وعَلِمَ الناس أن زوجته متبرجة فلن يستجيبوا له، الداعية إذا قال للناس: الربا حرام وعلم الناس أنه يتعامل بالربا فلن يستجيبوا له، وهذا عيب على الداعية، كما قال القائل:

يا أيُّها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ	هَلّا لنفسكَ كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقامِ وذي الضنا	كيْمَا يصحَّ بهِ وأنتَ سقيمُ
ابدأْ بنفسِكَ فانْهَهَا عنْ غيِّها	فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
لا تنْهَ عنْ خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ	عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

الصفة الرابعة: يجب على الداعية أن يبتغي بدعوته وجه الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، فمن دعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا يشركوا به شيئاً، وإلى طاعة رسول الله ﷺ، وإلى الطريق الذي سلكه الصحابة ﵃ ورضوا عنه فإنه يوفق بإذن الله.

ولكنه إذا ابتغى بدعوته حزبية، أو وطنية، أو شجاعة، فلا يوفق أبداً ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾.

فإذا ابتغى بذلك وجه الله ﷻ وفق في دعوته، وهذا شعيب يقول لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨]؛ أي: غايته أن يُرْضي الله ﷻ.

الصفة الخامسة: على الداعية أن يعلم أنه إذا وفق في دعوته فالتوفيق من الله وحده، وإذا لم يوفق في دعوته فهذا من نفسه ومن الشيطان، ولذلك نسب شعيب توفيقه إلى الله فقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ـ وهناك كثير من الدعاة إذا وفق في دعوته والتفَّ الناس حوله أصابه الغرور فكوَّن حزباً وجماعة، وأخذ يعمل بالتنظيمات كما نرى ونسمع، فيخرج بهذا التنظيم على الحكام فيدخل ومن معه في السجون فيكون قد ضيع وأضاع، وذهبت الثمار والجهود كما نرى ونسمع في بلاد المسلمين حيثُ امتلأت السجون بشباب الإسلام، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الداعية الذي دعاهم: أصابه الغرور، وظن أنه بمن حوله يستطيع أن يغير باليد فلم يستطع ذلك، فلا هو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وصبر على ذلك حتى ينصره الله ﷻ، ولا هو حقَّق أهدافه وهو بفعله هذا نسي قوله ﷺ: «**ولكنكم تستعجلون**».

الصفة السادسة: على الداعية أن يتوكل في دعوته على الله؛ لأنَّ مَنْ توكل على الله فهو حسبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ولذلك قال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الصفة السابعة: على الداعية أن يتحلى بسلاح الصبر ولا يتعجل، لقول ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الصفة الثامنة: على الداعية أن يتحلى بالحكمة، والحكمة يا عباد الله

ضاعت في هذا الزمان ـ إلا عند من رحم ربي، والله ـ عز وجل ـ يقول لرسوله ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالذين يدعون الناس بالشدة أهم أعلم أم الله؟

الله عز وجل يأمر رسوله ﷺ وهو أحب الخلق إليه أن يدعو الناس بالحكمة.

● وهذا فرعون ما وصل أحد إلى ما وصل إليه من الطغيان والكفر إذ قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

● وهذا موسى وهارون ـ وموسى من أولي العزم ـ ومع ذلك يا عباد الله أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وأمرهما أن يقولا له قولاً ليناً، لم يا ربنا؟ ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

فالحكمة يا أمة الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر ضروري. فعلى كل منا أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر حسب استطاعته، إذا رأيت منكراً فغيِّر هذا المنكر بيدك إن استطعت ـ فالرجل في بيته يغير بيده ـ ولكن المنكر الذي في الشارع فهذا أمره لأولياء الأمور يغيِّرونه، وإلا فالله سائلهم يوم القيامة، فإذا لم تستطع باليد فغيِّر باللسان، بالنصيحة والكلمة الطيبة، فإن لم تستطع فغيِّر بقلبك وهذا يستطيعه الجميع، أن يبغض هذه المعصية بقلبه، وينكرها بقلبه، ولكن إذا لم ينكر الإنسان بقلبه فيرى زوجته تتبرج وابنه يعصي، وهو لا يبالي فليعلم هذا أن قلبه قد مات ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



الوصية التاسعة والعشرون:
«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة والعشرين:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كُنا في جاهليةٍ وشرٍ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍ؟ قال ﷺ: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم وفيه دَخَنٌ**»، قلت: وما دخنُهُ؟ قال ﷺ: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكرُ**»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال ﷺ: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلتُ: فما تأمُرُني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: «**فاعتزل تلك الفِرَقَ كلَّها ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من دعاة السوء ومن أئمة الضلال، ويبين ﷺ لأمته في هذه الوصية أن دعاة السوء وأئمة الضلال وقفوا على أبواب جهنم يدعون الناس إلى كل شر، ويحذرون الناس من كل خير فمن استجاب لهم قذفوه في جهنم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١١)، م: (١٨٤٧).

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلنا: إننا معشر المسلمين إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب، وظهر الفساد في البر والبحر وكثر الخبث.

وقلنا: إنه في هذه البيئة السيئة المليئة بالمعاصي والذنوب ينشط المنافقون والمنافقات، ودعاة السوء وأئمة الضلال، فيدعون الناس إلى كل شر ويحذرون الناس من كل خير فهم بدعوتهم هذه يدعون إلى النار.

كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ ـ أي دعاة السوء ـ ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

عباد الله! أئمة الضلال ودعاة السوء وقفوا على أبواب جهنم يدعون الناس بأقوالهم وأفعالهم إلى كل شر، فمن استجاب لهم قذفوه في جهنم، وسيندم من استجاب لهم في وقت لا ينفع فيه الندم، وزعيمهم الذي جند حزبه لذلك هو إبليس عليه لعنة الله، ولقد أخبرنا الله عنه، وحذرنا منه ومن حزبه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٥، ٦].

عباد الله! وإبليس كما أخذ العهد على نفسه أن يعمل بالليل والنهار لدعوة الناس إلى النار، فقد جند جنوداً لحزبه يعملون معه، فكونوا منهم على حذر وهم:

أولاً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله الشياطين فهم يعملون معه ويدعون الناس بالليل والنهار إلى الكفر والضلال وإلى سبل الهلاك.

وهذا رسولنا ﷺ يبيّن لنا ذلك، فلقد خط ﷺ يوماً خطاً وقال لأصحابه: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم

قال ﷺ: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**»[(١)]، فالشياطين يدعون إلى سبل الهلاك كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]. . .

يقول الشيطان: يا ابن آدم: اكفر، يا ابن آدم: اشرك، يا ابن آدم ازنِ، يا ابن آدم هذا هو سبيل الهداية وهو في الحقيقة سبيل الهلاك، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

ثانياً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله ﷻ جنداً من الإنس وهم الكفارَ، فالكفار بالليل والنهار ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن طريق الهداية، وليدعونهم بالليل والنهار إلى سبل الهلاك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

عباد الله! بالليل والنهار وعبر شاشات المفسديون وعبر الإعلام بكل وسائله، الكفار ينفقون أموالهم ويدعوننا إلى سبيل الهلاك قائلين:

اتبعوا سبيلنا، هذا هو سبيل التقدم! هذا هو سبيل الهداية! وواقعنا ـ إذا نظرنا إلى أشكالنا وأبنائنا ونسائنا وبيوتنا ـ يشهد أننا استجبنا لهم. . . إنها السنن يا عبادَ الله التي أخبرنا عنها النبي ﷺ فقال: «**لتتبعنَّ سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا**: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ **قال: فمن؟**»[(٢)] أليس كذلك يا

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ١٣١)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٦٩)، م: (٢٦٦٩).

عباد الله؟! فإبليس هو الذي جندهم يدعوننا إلى سبيل الهلاك، فكونوا من الكفار على حذر؟!

ثالثاً: جَنَّدَ إبليس المنافقين والمنافقات يدعون الناس إلى كل منكر ويحذرون الناس من كل معروف.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

رابعاً: جَنَّدَ إبليس فريقاً من السادة والكبراء ـ الذين لا دين عندهم ـ يدعو الناس إلى سبل الهلاك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

خامساً: جَنَّدَ إبليس قرناء السوء لدعوة الأصدقاء إلى الهلاك، فكم من صديق أضل صديقه، وكم من قرين أهلك قرينه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

سادساً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله ﷻ علماء السوء، ودعاة السوء، ومشايخ السوء، فكم من عالم أفتى بحل الربا، وكم من عالم أفتى بحل التبرج، وكم من شيخ أفتى لمريديه بجواز دعاء المشايخ وأصحاب القبور من دون الله، فضلَّ وأضل، والله ﷻ في كتابه ضرب لنا مثلاً لعلماء السوء فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وقـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥].

عباد الله! ورسولنا ﷺ يخبرنا عن دعاة السوء فيقول ﷺ: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلتُ من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباءُ مِنْ أُمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(١).

ورسولنا ﷺ يبيّن لنا أن دعاة السوء يدخلون النار قبل عُبَّاد الوثن: عبادَ الله (أول ما تسعر جهنم بثلاث منهم عالمٌ ولكنه لم يعمل بعلمه، ولكنه تعلم لغير الله فيأتي هذا العالم الفاسد ويقف بين يدي الله فيذكره بنعمه فيذكرها فيقول ربنا جل وعلا له: ماذا عملت بالعلم والقرآن؟ فيقول هذا العالم الكذَّاب: تعلمت العلم وعملت به ابتغاء وجهك، فيقول الله ﷻ ـ الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ـ: كذبت إنما تعلمت وعلَّمت ليقال عنك عالم، وقد قيل، خذوه إلى النار)(٢).

ورسولنا ﷺ يخبرنا عن دعاة السوء الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه، وينهون الناس عن المنكر ويفعلونه، يقول ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحى فيجتمعُ إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمُرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٣).

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣١)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: انظر الحديث كاملاً في: م: (١٩٠٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

عباد الله! أئمة السوء، أئمة الضلال يدعون الناس إلى كل شر، ويحذرونهم من كل خير، فمن أجابهم قذفوه في النار، والعاقل من اتعظ بغيره، فالله ﷻ أخبرنا عن دعاة السوء الذين وقفوا على أبواب جهنم ودعوا الناس إليها فاستجاب الناس لهم، وها هم أولاً: يوم القيامة يتبرأ بعضهم من بعض كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

ثانياً: يرجع بعضهم إلى بعض القول أمام الله يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

ثالثاً: يلعن بعضهم بعضاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهذا هو إبليس الذي كوَّن حزبه وجَنَّده لدعوة الناس إلى جهنم، ها هو معهم في جهنم يتبرأُ منهم فكونوا على حذر يا عباد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عباد الله! حذيفة ﵁ يقول: يا رسول الله، وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها..**».

عباد الله! يا شباب الإسلام، يا من تحملون العواطف الحماسية، إياكم ودعاة السوء، إياكم وأئمة الضلال، إياكم وفرق الضلال؛ فإن مِنْ فرق الضلال اليوم من يُكَفِّر المسلم ويستحل دمه وماله وعرضه فكونوا منهم على حذر، ومن فرق الضلال من يدعون الناس إلى الكفر وإلى الشرك بالله. ومن فرق الضلال من يبعدون الشباب عن دينهم، ومِنْ فرق الضلال أيضاً من يجرئون الناس على معصية الله فيقولون لهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، فكونوا منهم على حذر، وعليكم بالجماعة وهي التي كانت على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه.

قال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي**»(١)، وقال ﷺ: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ..**»(٢)، وقال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فعليك أن تتعلم يا عبد الله علم الكتاب والسنة لتميز بين الخبيث والطيب، لتميز بين البدعة والسنة، لتميز بين التوحيد والشرك، لتميز سبيل الهدى من سبيل الهلاك.

فيا أمة الإسلام! من أراد أن ينجو فعليه أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وأن يتبع الرسول وحده ويتأسى به وحده، وأن يسلك سبيل

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، طص: (٢/ ٢٩)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، هب: (٦/ ٦٦)، [«ص.ج» (٢٥٤٩)].

الصحابة فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، فمن فعل ذلك نجا ومن جلس في بيته جاهلاً بهذا الدين العظيم، ثم ماجت الفتن فأخذ يجالس دعاة السوء، وأئمة الضلال فيدعونه إلى الكفر والشرك، فسوف يستجيب لهم ثم يموت على ذلك فيندم يوم القيامة في وقت لا ينفع فيه الندم، اللّهم قد بلغت! اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت! اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللهم فاشهد.

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❀ ❀ ❀

١٠١

الوصية الثلاثون
«أمسك عليك لسانك...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثلاثين:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[(١)].

عباد الله! وصية عظيمة من رسولنا ﷺ يبين فيها لأمته سبيل النجاة، وكلنا والله في أمس الحاجة إلى هذه الوصية لننجي أنفسنا من عذاب الله في الدنيا والآخرة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله! الصحابي رضي الله عنه يقول: يا رسول الله ما النجاة؟ والذي يجيب هو رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فيقول ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**» ـ أي: احفظ لسانك ـ «**وليسعك بيتك**» ـ أي: انشغل بطاعة ربك ـ «**وابك على خطيئتك**» ـ أي: انشغل بعيوبك عن عيوب الناس.

عباد الله! وهذه الوصية أقدمها للمسلمين عامة، وللذين يسهرون على لحوم الأبرياء خاصة.

أمة الإسلام! الرسول ﷺ يبيّن لكل من أراد سبيل النجاة فيقول: «**أمسك عليك لسانك**» فاللسان هو بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد،

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧٠)، هب: (١/ ٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

فإن استقام اللسان استقامت الأعضاء، وإن اعوج اللسان اعوجت الأعضاء.

يقول ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كُلَّهَا تكفر اللسان** ـ أي: تذل له وتخضع ـ **فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»(١).

فيا عباد الله، من أمسك لسانه عن القيل والقال وعن الخوض في الباطل، وعن تناول لحوم الأبرياء، وعن الغيبة والنميمة دخل الجنة.

لأن الرسول ﷺ يقول: «**من يضمن لي ما بين لَحْييه** ـ أي: اللسان ـ **وما بين رجليه** ـ أي: الفرج ـ **أضمن له الجنة**»(٢)، وقال ﷺ: «**من وقاهُ الله شر ما بين لحييه** ـ أي: اللسان ـ **وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»(٣).

● وهذا معاذ بن جبل ﷺ يقول: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخِلُني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّرَهُ الله تعالى عليه**... ثم دلّه ﷺ على أبواب الخير ثم قال ﷺ: ألا أخبرك بملاك ذلك كله!»، قلت: بلى يا رسول الله: فأخذ بلسانه فقال: «**تكف عليك هذا**»(٤).

عباد الله! ومن أطلق لسانه بالقيل والقال في أعراض المسلمين ينهش لحومهم فهذا يكبه لسانه على وجهه في نار جهنم، قال ﷺ: «... **وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»(٥)، وقال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن**

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤١٧)، حم: (٣/ ٩٥)، ع: (٢/ ٤٠٣)، هب: (٤/ ٢٤٣)، [«ص.ج» (٣٥١)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).
(٣) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، ك: (٤/ ٣٩٨)، حب: (٥٧٠٣)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].
(٤) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].
(٥) **صحيح**: خ: (٦١١٣).

ما فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(١).

وقد بيَّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن الخوض مع الخائضين باللسان سبب لدخول النار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٥].

والخوض مع الخائضين في الباطل يكون باللسان، وقال ﷺ لمعاذ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(٢).

فيا عباد الله! اللسان إذا أمسك عن الباطل كان ذلك سبب لدخول الجنة، وإذا أُطلق في الباطل وفي أعراض المسلمين كان ذلك سبب لدخول النار، والعاقل من يمسك لسانه، ويراقب لسانه دائماً، فلا يتكلم إلا في الخير، ولا يتكلم إلا بالخير كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(٣).

وكان الصحابة والسلف الصالح يخافون من اللسان ومن آفات اللسان وكانوا يمسكون ألسنتهم فلا يتكلمون إلا في الخير.

فهذا الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: (إن هذا أوردني شر الموارد)(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١١٢)، م: (٢٩٨٨).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).
(٤) **صحيح**: ع: (١/ ١٧)، بز: (١/ ١٦١)، ش: (٧/ ٤٣٢)، هب: (٤/ ٢٤٤)، حل: (١/ ٣٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٧٣)].

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يأخذ بلسانه يوماً ويقول: (يا لسان! قل خيراً تغنم، وأسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم)(١).

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيءٌ أحوج إلى طول سجنٍ من لسان)(٢).

فيا ابن آدم! عرفت فالزم، تريد النجاة؟ أمسك عليك لسانك، أمسك عليك لسانك يا ابن آدم من الخوض فيما لا يعنيك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**مِنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(٣).

ابن آدم! أمسك لسانك عن الخوض في الباطل؛ لأن الخوض في الباطل سبب لدخول النار وسبب لسخط الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٥].

وقال ﷺ: «**وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**»(٤).

ابن آدم! أمسك لسانك عن إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) **صحيح**: طب: (١٠/١٩٧)، هب: (٤/٢٤٢)، حل: (٤/١٠٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٧٢)].

(٢) **صحيح موقوف**: طب: (٩/١٤٩)، ش: (٥/٣٢٠)، حل: (١/١٣٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٥٨)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٣١٨)، حم: (١/٢٠١)، حب: (٢٢٩)، طب: (٣/١٢٨)، عب: (١١/٣٠٧)، هب: (٧/٤١٥)، [«ص.ج» (٥٩١١)].

(٤) **صحيح**: ت: (٢٣١٩)، هـ: (٣٩٦٩)، حم: (٣/٤٦٩)، حب: (٢٨٠)، ك: (١/١٠٦)، طب: (١/٣٦٧)، هب: (٤/٢٤٧)، [«ص.ج» (١٦١٩)].

وقال ـ تعالى ـ محذراً الذين يتكلمون بما يسمعون قبل أن يتبينوا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٦، ١٧].

ابن آدم! أمسك لسانك عن الفحش والسب والبذاءة والشتم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إياكم والفحش والتفحش فإنَّ الله لا يحب الفاحش المتفحش**»(١)، وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»(٢).

ابن آدم! أمسك لسانك عن كثرة المزاح، فإنه يجرك إلى الكذب، والرسول ﷺ يقول: «**ويل للذي يحدِّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له**»(٣).

ابن آدم! أمسك لسانك عن الكذب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٤).

ابن آدم! أمسك لسانك عن شهادة الزور، وعن قول الزور؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر** ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين،** وجلس وكان متكئاً فقال: **ألا وقول الزور،** فما زال يكررها حتى قلنا: ليتهُ سكت»(٥).

---

(١) **صحيح**: حب: (٥١٧٧)، ك: (١/٥٦)، خد: (٤٨٧)، هب: (٧/٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٠٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٧٧)، حب: (١٩٢)، ك: (١/٥٧)، خد: (٣١٢)، طب: (١٠/٢٠٧)، ع: (٩/٢٥٨)، بز: (٤/٣٣٠)، ش: (٦/١٦٢)، هب: (٤/٢٩٣)، [«ص.ج» (٥٣٨١)].

(٣) **حسن**: د: (٤٩٩٠)، حم: (٥/٥)، مي: (٢٧٠٢)، طب: (١٩/٤٠٣)، هق: (١٠/١٩٦)، [«ص.ج» (٧١٣٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

(٥) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

ابن آدم! تريد النجاة؟ أمسك لسانك عن تكفير المسلمين، وعن أن تقول: هذا كافر، فالرسول ﷺ يقول: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما**»[١].

ابن آدم! أمسك لسانك عن الغيبة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين**»[٢]، وقال ﷺ: «**لمّا عرج بي ربي ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»[٣].

ابن آدم! أمسك لسانك عن النميمة، والنميمة: هي: نقل الكلام من فلان إلى فلان بقصد إشاعة الفاحشة، وبقصد الإفساد بين الناس؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١]، والرسول ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٤].

ومرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير! ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**»[٥]، وقال ﷺ: «**من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»[٦]؛ أي: يتكلم مع هؤلاء بلسان، ومع هؤلاء بلسان، فيا ويله يوم القيامة! فإن هذا من صفات المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٥٢).

(٢) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، ع: (١٣/ ٣٤٣)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٨٧٨)، حم: (٣/ ٢٢٤)، طس: (١/ ٧)، هب: (٥/ ٢٩٩)، [«ص.ج» (٥٢١٣)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٠٩)، م: (١٠٥).

(٥) **صحيح**: خ: (١٣١٢)، م: (٢٩٢).

(٦) **صحيح**: خ: (٥٧١١)، م: (٢٥٢٦).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

ابن آدم! تريد النجاة؟ أمسك عليك لسانك، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[1].

عباد الله! الصحابي رضي الله عنه يقول: يا رسول الله ما النجاة: أي: كيف ينجو الإنسان؟ فقال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**»، فوالله إن هذا لهو الخير لك في الدنيا والآخرة، فإياك ولسانك، فاللسان سبب لدخول النار، وكم من الناس من يُكَب على وجهه في النار بسبب لسانه.

يقول ﷺ لمن أراد النجاة: «**وليسعك بيتك**»؛ أي: انشغل بطاعة ربك، فعلى المسلم أن يجلس في بيته وينشغل بذكر الله وينشغل بقراءة القرآن، وينشغل بتعلم العلم النافع، وإذا خرج من بيته خرج لله؛ إلى المسجد لصلاة الجماعة، لزيارة مريض، لزيارة أخٍ له في الله، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الذين يضيعون أوقاتهم بالوقوف في الشوارع، أو في دور السينما، أو في أماكن اللهو واللعب، أو في لعب (الشدة)، أو أمام المفسديون أو أفلام الفيديو الساقطة، أو في القيل والقال، وفي نهش لحوم الأبرياء فهؤلاء قد خابوا وخسروا.

عباد الله! الفتن تموج بنا فمن خرج منْ بيته لغير حاجة افتتن بها، فالعاقل هو الذي لا يخرج مِنْ بيته إلَّا لطاعة ربه، أو لعملٍ مشروعٍ من أعمال الدنيا ثم يرجع إلى بيته وينشغل بطاعة ربه.

أمة الإسلام! ضيّعتم أوقاتكم في أمور الدنيا الفانية، ونسيتم الآخرة قال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

يا شباب الإسلام، الوقت أين يضيع؟ أما سمعتم بقوله ﷺ: «**وليسعك بيتك**»، انكبوا على قراءة الكتب الصحيحة لتتعلموا دين الله؛ لأن الفتن قد كثرت، وفي كل يوم تظهر جماعة بأسلوب جديد، وبفكر جديد، ولباس جديد، وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فإن لم تكن عالماً بدينك واللهِ فتنوك وأضلوك، وعندها تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! وقال ﷺ: «**وابك على خطيئتك**»: أي: انشغل بعيوبك قبل عيوب الناس. ابن آدم! انشغل بعيوبك قبل عيوب الناس، فكثير من الناس لا هم لهم إلا أن ينشغلوا بعيوب الناس، فتراهم يتكلمون عن الناس وعن عيوب الناس، وعن ضلال الناس، وينسون أنفسهم وهم قد ضلوا ضلالاً مبيناً.

فهذا كالذي يهش الذباب عن وجه غيره، والعقارب والحيات تحت ثوبه فهو قد خاب وخسر! فانشغل بعيوبك يا عبد الله.

عباد الله! إذا انشغل كل منا بعيبه، وتذكر ذنبه الذي اقترفه في جنب الله فبكى عليه، دفعه ذلك إلى التوبة، فمن انشغل بعيوبه تاب منها ومن انشغل بعيوب الناس لم يعرف ذنبه، فيمت وذنوبه لا زالت كثيرة يحملها على ظهره يوم القيامة، فالعاقل يا عباد الله هو الذي يهاجر من المعصية إلى الطاعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»(١)، هذه هي الهجرة التي يجب أن نحتفل بها في كل لحظة، لا أَنْ نحتفل بهجرة رسولنا ﷺ مرة واحدة في العام، لإن ذلك لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

فيا أمة الإسلام! هذا هو المسلم العاقل في كل لحظة، وفي كل يوم ينشغل بذنوبه وبخطاياه ليتوب منها، فيهاجر منها إلى الطاعة، فمن انشغل بالغناء والموسيقا فليهاجر منها إلى قراءة القرآن، ومن انشغل بأكل

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠).

الربا والحرام فليهاجر إلى أكل الحلال، ومن انشغلت بالتبرج و(الموضة) فلتهاجر إلى الجلباب، ومن انشغل بالجلوس في أماكن اللهو واللعب فليهاجر إلى دروس العلم في المساجد، وبذلك تكون مهاجر فتمسَّك بهذه الوصية العظيمة وعضَّ عليها بالنواجذ، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

ابن آدم! إذا أردت النجاة فاحتفل بالهجرة في كل لحظة، وليس مرَّةً واحدةً في العام كما يفعل ذلك المبتدعة و«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



١٠٢

الوصية الحادية والثلاثون:
«لا يزال لسانك رطباً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والثلاثين:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبثُ به ـ أي أتمسك ـ به قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»(١).

عباد الله! في وصية الجمعة الماضية جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ما النجاة؟ فقال له ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**»(٢)، وهذا رجل آخر في هذه الوصية يقول: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**».

وقلنا في الجمعة الماضية: إن اللسان بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد، فإن استقام على الخير استقامت الأعضاء، وإن اعوج اعوجت الأعضاء.

● وقلنا: إن اللسان إما حجة لك إذا انشغل بذكر الله، وإما حجة عليك إذا انشغل بأعراض المسلمين وبالقيل والقال.

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٣٧٥)، ك: (١/ ٦٧٢)، ش: (٧/ ١٧٠)، هـ: (٣٧٩٣)، [«ص.غ.هـ» (١٤٩١)].

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧٠)، هب: (١/ ٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

• واللسان حجمه صغير، وجرمه كبير، ورسولنا ﷺ في وصيته التي معنا في هذا اليوم يضع لنا العلاج، ففي الجمعة الماضية قال رسولنا ﷺ للرجل: «**أمسك عليك لسانك**»؛ أي: عن الشر، وعن الغيبة، وعن النميمة، وعن القيل والقال، وعن أعراض المسلمين، واليوم يقول ﷺ للرجل: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**» وكأن هذه الوصية في هذا اليوم هي العلاج للسان حتى يستقيم، فمن أراد النجاة فعليه أن يأخذ بهذه الوصية من رسول الله ﷺ وأن يشغل لسانه بذكر الله؛ لأنك إن لم تشغل لسانك بذكر الله انشغل بالقيل والقال وأكل لحوم الأبرياء.

وفي وسط هذه الفتن التي تموج بنا موج البحر يجب على الإنسان أن يتحصن بذكر الله أتدرون لم يا عباد الله؟

•؛ لأن ذكر الله حصن حصين لك من أعدائك شياطين الإنس والجن يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥].

وقد أمر الله ﷻ موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن ينشغلا بذكر الله ليكونا في حصن حصين من بطش فرعون، قال ـ تعالى ـ لموسى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ [طه: ٤٢].

عباد الله! يجب على الإنسان أن ينشغل بذكر الله ليكون في حصن حصين من شياطين الجن التي تعمل بالليل والنهار لتعتدي عليه وتؤذيه.

• وهذا رسولنا ﷺ أخبرنا أن من قرأ آية الكرسي كل ليلة قبل أن ينام كان عليه من الله ﷻ حافظ حتى يصبح فلا يقربه شيطان حتى يصبح[(١)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

• وأخبرنا ﷺ أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يفر منه الشيطان، وقال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»(١).

عباد الله! ولذلك على العاقل في هذا الزمان العجيب الذي كثرت فيه شياطين الإنس والجن أن يحصن نفسه بذكر الله، ولذلك فإن الله ﷻ في كتابه يأمر عباده بذكره ويحثهم على الإكثار من ذكره ﷻ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويقول ربنا ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»(٢).

وهذا رسولنا ﷺ يحث أمته على الإكثار من ذكر الله، فيقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى**»(٣).

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٠)، م: (٢٦٩١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٩٧٠)، م: (٢٦٧٥).

(٣) **صحيح**: ت: (٣٣٧٧)، حم: (٦/ ٤٤٧)، هـ: (٣٧٩٠)، ك: (١/ ٦٧٣)، [«ص.ج» (٢٦٢٩)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٠٤٣)، م: (٢٦٩٤).

وقال ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»(١)، وقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأُ ـ ما بين السموات والأرض**»(٢).

عباد الله! الإكثار من ذكر الله حياة للقلوب، والإعراض عن ذكر الله موت للقلوب ولذلك قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»(٣).

يا من ضيّعتم الأوقات في القيل والقال، وفي جمع الأموال، وبالليل عكفتم على المفسديون وعلى أعراض المسلمين، وعلى الغيبة والنميمة، الذي يذكر ربه يحيا قلبه، والذي لا يذكر ربه يموت قلبه وإن كان يدب على الأرض، قال ﷺ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»(٤).

ذكر الله من شيم الرجال، ذكر الله لا يقدر عليه إلا الرجال والإعراض عن ذكر الله من أفعال المنافقين الأنذال. فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

أما الفريق الآخر:

يقول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

ذكر الله والمداومة على ذكر الله لا يقدر عليه إلا الرجال، والإعراض عن ذكر الله والانشغال بالقيل والقال والعكوف على لحوم الأبرياء لا يفعله إلا المنافقون الأنذال.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٥).
(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٤٤).
(٤) **صحيح**: م: (٧٧٩).

عباد الله! ذكر الله يورث الخشية في القلوب، والإعراض عن ذكر الله سبب لقسوة القلوب، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

أما في الفريق الآخر:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

الإكثار من ذكر الله سبب لفلاح العبد في الدنيا والآخرة، والإعراض عن ذكر الله سبب للعذاب الأليم، والخسران المبين في الدنيا والآخرة، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

أما الفريق الآخر:

فقال ـ تعالى ـ فيهم: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

الإكثار من ذكر الله سبب لمغفرة الذنوب، وسبب لدخول الجنة دار النعيم، والإعراض عن ذكر الله سبب للعذاب الأليم وسبب لدخول النار دار الجحيم، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أما بالنسبة للفريق الآخر:

فقال تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟! ألم يأنِ للذين آمنوا أن تنشغل ألسنتهم بذكر الله؟! ألم يأنِ للذين ينامون ولحوم الأبرياء بين أنيابهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟! أظن أنه قد آن الأوان أن نرجع إلى الله، وأن ننشغل بذكر الله لنكون في حصن حصين من شياطين الإنس والجن، واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه، من أعرض عن ذكر الله فإنه سيعيش في هذه الدنيا في ضنك، وسيعتدي عليه أعداؤه من شياطين الإنس والجن، وسيندم عندما يفارق هذه الدنيا في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! سعادة المرء في الدنيا والآخرة بالإكثار من ذكر الله، فهذا الرجل يقول: يا رسول الله، كثرت علي شرائع الإسلام فأخبرني بأمر أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**».

وذكر الله مطلوب في كل حال، حتى أن الله ـ ﷻ ـ طلب منا أن نذكره بعد أداء الفرائض، فالله ﷻ طلب من عباده أن يذكروه بعد قضاء صيام رمضان.

● فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

● وطلب الله منا أن نذكره إذ انتهينا من مناسك الحج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

● وأمرنا الله ﷻ أن نذكره إذا انتهينا من صلاة الفريضة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

● وطلب الله منا أن نذكره بعد الانتهاء من صلاة الجمعة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

ومشروع لنا أن نذكر الله حتى في الأنفاس الأخيرة في هذه الدنيا وأحدنا في فراش الموت، ولذلك قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه** ـ أي: من الدنيا ـ **لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١).

وكان ﷺ يقول: «**لقِّنوا موتاكم** ـ أي: عند خروج الروح ـ **لا إله إلا الله**»(٢).

يطلب منا ربنا ـ جل وعلا ـ أن نذكره بعد الأعمال الصالحة وبعد قضاء الفرائض، وكذلك اعلموا عباد الله أن ذكر الله مطلوب على كل حال كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

وتقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)(٣).

واعلموا عباد الله! أن ذكر الله عز وجل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، فإذا أردت أن يقبل منك هذا الذكر عند الله يوم القيامة فيجب أن يتوفر فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: أن يكون لله، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**»(٤).

---

(١) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/ ٢٤٧)، ك: (١/ ٥٠٣)، طب: (٢٠/ ١١٢)، هب: (١/ ١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٩١٦).

(٣) **صحيح**: م: (٣٧٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).

الشرط الثاني: أن يكون موافقاً للسنة، لقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)].

ولذلك نقول للذين يذكرون الله بالليل والنهار ولكنهم قد ابتدعوا هذا الذكر ما ازددتم بذكركم هذا لله ﷻ إلا بعداً، ويجب على الإنسان أن يعلم أن العبادة لا تقبل عند الله ﷻ إلا إذا كانت لله وكانت على هدي رسول الله ﷺ، وقد جمع الله ﷻ بَيْن هٰذين الشرطين ـ وهما: الإخلاص والموافقة ـ في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ورسولنا الكريم ﷺ ما ترك ذكراً إلا وعلمنا إياه، ولكن بسبب إعراضنا عن الكتاب والسنة كان حالنا كما ترون لا نعرف إلا الفاتحة، فنقرأها عند الطعام، وعند الزواج، وعند القبور، وعند النوم، وفي كل أحياننا لأننا لا نحفظ إلا إياها. لا! يا عبادَ الله إنَّ لكل مقام مقال ولكل وقت ذكر قد بيّنه لنا رسولنا ﷺ، إذا أردت النوم فإنَّ للنوم أذكاراً، وإذا استيقظت من النوم فإن لما بعد الاستيقاظ أذكاراً، وإذا دخلت المسجد فلدخول المسجد ذكر خاص، وإذا خرجت من المسجد فإنَّ لهذا الخروج ذكراً، وكذلك إذا لبست ثيابك فإنَّ لهذا ذكراً... وهكذا.

● واللهِ من تعلَّم دينه تعلماً صحيحاً فستراه ذاكراً لله ﷻ عند نومه وفي يقظته وفي سره وفي علانيته حتى إذا جاءه الموت جاءه وهو على أحسن حال.

اللّهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨).

١٠٣

الوصية الثانية والثلاثون:
«ألا أُخبركم بشراركم...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والثلاثين:

يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون** ـ أي: المفرقون ـ **بين الأحبة، الباغون للبُرَآءِ العَنَتَ**»[(١)].

وصية والله عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من شرار الخلق، أتدرون من هم يا عباد الله؟ إنهم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

عباد الله! النمام تعرفونه، هو الذي يقوم بنقل الكلام بين الناس ليفرق بينهم وليفسد ما بينهم، ليلقِي العداوة والبغضاء بين الأحبة وماذا يريد بهذا العمل الخبيث؟

يريد أن يتقرب أو يرضي بعضهم، أو لأنه يريد أن يطفىء نار الغل والحقد في قلبه، وهذا العمل الخبيث وهو النميمة خلق ذميم، ومرض فتاك باعث للحقد، وزارع للحسد لا يقوم به إلا كلاب البشر وأحط الناس.

النمام أتعرفونه؟ له وجهان ولسانان، وجه يلقى به هؤلاء، ووجه يلقى

---

(١) **حسن**: حم: (٦/ ٤٥٩)، خد: (٣٢٣)، طب: (٢٤/ ١٦٧)، هب: (٧/ ٤٩٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

به هؤلاء، سود الله وجهه يوم تبيَض وجوه وتسود وجوه، وله لسانان يلقى هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان، شل الله لسانه ليكف عن أعراض المسلمين. يقول ﷺ: «**إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

النمام أتعرفونه! لسانه أحلى من العسل، وقلبه أسود من القطران، إذا تكلم كلامه حلو لكن قلبه أسود، يقول الله ـ عز وجل ـ عن هذا الصنف من البشر: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

النمام أتعرفونه! إنه كذاب؛ لأن الصادق له وجه واحد ولسان واحد ولا يكذب، والنمام له لسانان ووجهان، وإذا حدث كذب، وتراه إذا حدث يحلف ويقسم بالله؛ لأنه يعرف في قرارة نفسه أنه كذاب.

ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

النمام أتعرفونه! لا يفكر بعقله؛ لأنه يسمع النميمة ويقوم بنقلها قبل أن يفكر فيها وقبل أن يسأل نفسه ماذا يريد بنقل هذا الكلام. ولذلك قال تعالى عن هؤلاء: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١١)، م: (٢٥٢٦).

تَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٥ ـ ١٧]. النمام أوقف عقله فهو من شر الناس، ولذلك قال رب العزة: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

النمام كونوا منه على حذر، الذي ينقل الكلام من المجالس كونوا منه على حذر، فوالله دخل كثير من الناس السجون بألسنة النمامين، وترمَّلت النساء بألسنة النمامين، وتيتم الأولاد بألسنة النمامين، وتفرقت الأحبة بألسنة النمامين، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولذلك حذرنا ربنا في كتابه من شر النمامين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٢].

إياك يا عبد الله أن تطيعهُ، ولا تطع كل حلاف يكثر الحلف؛ لأنه كذاب مهين! نعم والله مهين، إنه حقيرٌ بين البشر، صغيرٌ حجمُه، حقيرٌ شكلُه، اسْوَدَّ قلبُه فسوَّدَ الله وجهه، تراه إذا تكلم كأنما يتكلم الشيطان على لسانه، فهو شيطان في صورة إنسان فلا تغتر بشكله وإن تزين بأشكال المسلمين، فهو نمام يريد الشر للأمة وللمجتمع فكن منه على حذر، فالله حذرنا منه، ورسولنا الكريم ﷺ يحذرنا من النمام، ويقول في وصيته التي معنا: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**».

أخا الإسلام! إذا جاءك نمام ينم لك، ينقل لك كلاماً عن أخيك فما هو المطلوب منك شرعاً؟ اسمعوا وعوا.

أولاً: ألا تصدقه فيما يقول؛ لأنه نمام، ومن نمَّ لك نم عليك، والنمام مردودةٌ شهادتُه، فاسق لا يؤخذ منه؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا أَن تُصِيبُوا قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

ثانياً: أن تنهاه عما يقول، وأن تنصحه، وأن توبخه، (لِمَ)؟ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

فقل له: أيها النمام، نقل الكلام منكر، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]، وقل له: أيها النمام نقل الكلام إثم وعدوان، وتذكر قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»[1]، ثم قل له: أيها النمام ماذا تريد بنقل هذا الكلام أتتقرب به إلى الله؟ فوالله ما تزداد به من الله إلا بعداً، وما تزداد به عند الناس إلا بغضاً، وعليك أن تنصحه.

ثالثاً: عليك أن تبغضه في الله؛ لأنه بغيض (لِمَ)؟ لأنه ينشر الفساد في الأرض، والله ﷻ لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين والنمام من المفسدين.

رابعاً: المطلوب منك ألا تسيء الظن في أخيك الذي نقل عنه الكلام؛ لأن الله ﷻ نهى عن إساءة الظن، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ بل الواجب عليك أن تحسن الظن بأخيك الغائب، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

خامساً: احذر أن يدفعك ما سمعت من النمام أن تتجسس على أخيك الغائب؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

سادساً: احذر أن تقوم بنقل هذا الكلام إلى غيرك فتكون نماماً مثله.

(رُوي أن عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن فلاناً من الناس قال عنك كذا وكذا، فقال له عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فيما تقول فأنت

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).

من أهل هذه الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١]، وإن شئت تبت إلى الله وعفونا عنك، فقال: أتوب يا أمير المؤمنين) نعم هكذا تعاملوا مع النمامين واضربوا على أيديهم وعلى ألسنتهم بأيدٍ من حديد حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وأخيراً أقول للنمامين: اعملوا ما شئتم وقولوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فيا أيها النمام، اعمل ما شئت فإلى الله المرجع، والعذاب في القبر ينتظرك. مرّ ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير! ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**»[1].

فاعمل ما شئت أيها النمام فالقبر ينتظرك، وما أدراك ما القبر! بيت الظلمة، بيت الدود، وهناك تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، أيها النمام اعمل ما شئت وقل ما شئت فاللقاء أمام الله وعنده تجتمع الخصوم ولا يظلم ربك أحداً.

أيها النمام!

مثلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُريانا	مستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا
والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومن حنقٍ	على النَّمامين وربُ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ	فهلْ ترى فيهِ حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأته ولم تنكر قراءته	إقرار منْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل خُذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
النمامون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنونَ في دار الخلد سكانا

عباد الله! يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم...**».

وأقول للبُرآء الذين نقل عنهم الكلام، وهم منه براء، أقول لهم ناصحاً أميناً.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣١٢)، م: (٢٩٢).

أولاً: استعينوا بالله على فعل النمامين، فإنه من استعان بالله أعانه، والله ﷻ يتولى الدفاع عنكم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨].

ثانياً: توكلوا على الله؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ثالثاً: أيها البُرآء اصبروا على قول النمامين، فعاقبة السوء على رؤوسهم والدائرة تدور عليهم، والله ﷻ سيفضحهم في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «... **لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[1]، فاصبروا أيها البُرآء فالله ﷻ قال لرسوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠].

رابعاً: أيها البُرآء أنتم الفائزون في الدنيا والآخرة، فأنتم بصبركم على أذى النمامين تزدادون قرباً من الله وتزدادون محبة عند خلق الله، أما الذين يقومون بنقل الكلام فالله ﷻ يبغضهم، وهم بفعلهم هذا يزدادون بغضاً عند البشر.

خامساً: أيها البُرآء أنتم يوم القيامة آخذون من حسناتهم، قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، ع: (١٣/ ٣٤٣)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(١).

• فيا أيها البُرآء، اصبروا حتى تأخذوا من حسنات النمام يوم القيامة إن كان له حسنات وإلا فسيحمل أوزاركم يوم القيامة، يوم الدين ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الإنفطار: ١٨ ـ ١٩].

أيها البُرآء ادعوا الله لهؤلاء بالهداية، وادعوه سبحانه أن يردهم عن النميمة وإلا إن شئت أيها البريء أن تدعو على النمام في جوف الليل فأنت مظلوم والله ﷻ وعد أن يستجيب للمظلوم، فادعو الله في جوف الليل عليه أن يشل لسانه، وأن يحط من قدره، وأن يجعله عبرة لمن اعتبر إذا لم يتب، إذا لم يرجع؛ لأن النمام شرٌ ووبالٌ على الفرد والمجتمع، تفرقت الأمم بسبب النمامين، وتفرقت الأحبة بسبب النمامين قاتلهم الله أنى يؤفكون.

اللّهم اكفنا شرار خلقك ونجينا من ألسنة النمامين

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

١٠٤

الوصية الثالثة والثلاثون:
«لا تحاسدوا...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والثلاثين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضُهُ**»(١).

أمة الإسلام! اسمعوا وعوا، كلام أغلى من الذهب، نصائح أغلى من الذهب، من عمل بها نجا، فرسولنا ﷺ يحذر أمته من أمراض فتاكة تقضي على الأخوة بينهم أشدها «الحسد».

يا أمة الإسلام، ويا شباب الإسلام، ويا علماء الإسلام، ويا دعاة الإسلام، ويا أمة التوحيد: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا..**».

عباد الله! وشر هذه الأمراض هو الحسد ـ وهو موضوع حديثنا لهذا اليوم ـ، وقد عمَّ وطمَّ بين المسلمين، فالناس مع الحسد قسمان:

قسمٌ خبيث مريض من شرار الخلق، وهذا القسم من الناس إذا

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

حسد ونظر بعين الغل والحقد والحسد إلى المحسود تمنى أن تزول النعمة من عند أخيه سواء انتقلت إليه أم لا.

هذا القسم من البشر قلبه خبيث، وعينه خبيثة، ودمه خبيث، فإذا نظر بعين الغل والحسد إلى المحسود أصابه، والعين حق، تُدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القِدر.

فالحاسد يتمنى أن تزول النعمة عن المحسود سواء انتقلت إليه أم لا. وهو بذلك الفعل من شر البشر، ولذلك أمرنا الله ﷻ أن نستعيذ به وأن نلجأ إليه من شر هذا الحاسد إذا حسد فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٥].

الحاسد إذا حسد فهو شر، ويخرج من عينه شعاع يصل إلى المحسود، فإن نظر إليه أصابه، ككثير من الحيات التي أخبرنا عنها المصطفى ﷺ ـ هذه الحيات ـ يخرج من عينها شعاع أو من جسدها شعاع إذا وصل إلى المرأة الحامل أسقط ما في بطنها، وإذا وصل إلى عين الرجل أعمى بصره، وكذلك حال الحاسد الخبيث، ولذلك النجاةُ من هذا النوع من الناس تكون لنا بأن نلتجىء إلى الله.

عباد الله! هذا الحسد المذموم، وهذا الحسد الخبيث ليس والله من شيم المؤمنين إنما هو من شيم وأخلاق وأعمال شياطين الإنس والجن.

• فهذا إبليس، نظر إلى آدم في الجنة، وقد خلقه الله ﷻ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة، فحسد إبليس آدم، وخطط إبليس بما عنده من الحسد أن يُخرج آدم من الجنة ونجح إبليس في خطته، وخرج آدم من الجنة لحكمة يريدها الله ﷻ، ويا ليت إبليس انتهى إلى هذا الحد؛ بل أعلنها حرباً على آدم وذريته إلى يوم القيامة، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]. فانظروا إلى الحسد ماذا فعل بإبليس.

• والحسد من شيم اليهود ولقد أخبرنا الله ـ عز وجل ـ أنهم يحسدون الناس عامة ويحسدون المؤمنين خاصة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾ ـ السبب ـ ﴿**حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال ربنا عز وجل عنهم: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٥٤]، فالحسد من شيم وأخلاق اليهود، وهو ما دفعهم إلى أن يتمنوا بالليل والنهار أن يعود المؤمنون كفاراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقرة: ١٠٥] السبب: ﴿**حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ [البقرة: ١٠٩].

عباد الله! الحسد المذموم من شيم إبليس ومن أخلاق اليهود فلا يليق أبداً بالمؤمن أن يحسد الناس.

فالحسد شر إذا تمكن من القلب أشعله ناراً، ودفع صاحبه إلى كل شر، فالحاسد إذا حسد إنساناً تجسس عليه، واغتابه، ونم عليه؛ بل قد يصل الحد بالحاسد إلى أن يقتل أخاه، ولذلك قال ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم، الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا، والتباغض والتحاسد، حتى يكون البغي**»(١).

فالحسد يدفع صاحبه إلى البغي، إلى الاعتداء، إلى الظلم، إلى كل شَرٍّ حتى يدفعه إلى القتل، وبالمثال يتضح البيان:

• إخوة يوسف عليه السلام: قرروا أن يقتلوه واجتمعوا وقالوا: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا**

(١) **حسن**: ك: (٤/ ١٨٥)، طس: (٩/ ٢٣)، [«ص.ج» (٣٦٥٨)].

صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف]، السبب يا عباد الله الحسد، فأخذوه وألقوه في غيابة الجب ليموت فيتخلصوا منه، والسبب وراء كل ذلك هو الحسد.

● وهذا قابيل، الحسد دفعه إلى أن يقتل أخاه هابيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ تقبل الله من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فقال قابيل حسداً من عند نفسه لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

الحسد يدفع إلى كل شر، وإلى كل خبيث، وهو مرض فتاك أصاب الأمم من قبلنا، ورسولنا ﷺ أخبرنا كما سمعتم أننا سنصاب بهذ الداء وبهذا المرض: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» قالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «**الأشر... والتحاسد...**» الحديث.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يقول: «**انصرُ أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، فقال رجل: يا رسول الله! أنصُرُهُ إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصُرُه؟ قال: «**تحجزهُ أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**»(١). وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**»(٢)، ولذلك ننصح الحاسد فنقول له:

● أيها الحاسد أرح نفسك، وأرح قلبك، فالحسد نار تشتعل في القلب، فيا أيها الحاسد يا من لا تنام من الليل إلا قليلاً، تتقلب على فراشك من شدة الحسد والغل والحقد، نقول لك: أرح نفسك، وأرح قلبك واعلم أيها الحاسد أن الذي يريد الجنة يرجو لإخوانه كل خير، ولا يحسدهم، قال تعالى في وصف الصالحين أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢).
(٢) **صحيح**: م: (٥٥).

• أيها الحاسد اعلم بأن النعم التي في أيدي الناس هي من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، والله ـ ﷻ ـ هو الذي أعطى هذا وحرم هذا وفضَّل هذا على هذا في الرزق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١] فيا أيها الحاسد عندما تحسد إنساناً على مال أو منصب أو على علم فكأنك أيها الحاسد تعترض على قضاء الله وقدره فاتقِ الله واعلم أنَّ هذه نعم الله يؤتيها من يشاء من عباده.

• أيها الحاسد اتق الله في نفسك وفكر قليلاً، وانظر إذا كان المحسود الذي تحسده من أهل الجنة كيفَ تحسده على نعم الدنيا الزائلة وهو يصير إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض؟

• أيها الحاسد اتقِ الله وفكر قليلاً، إذا كان الذي تحسده من أهل النار فكيف تحسده على هذا النعيم الزائل في الدنيا وهو يصير إلى نار حامية؟

• أيُّها الحاسد: أترضى لنفسك ما تفعله بالناس؟ أيها الحاسد، يا عدو النعم، أترضى أن يحسد أولادك أحد؟ أترضى أن يحسد مالك أحد؟ أترضى أن يحسد علمك أحد، أترضاه لنفسك؟ أظن أن الجواب سيكون من الحاسد إن صدق: لا، نقول له: أما سمعت المصطفى ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه**»[(١)].

ثم نقول ناصحين للمحسود ـ وكلنا يا عباد الله إما حاسدٌ، عافانا الله وإياكم وإما محسود، فنصيحتنا للمحسود وهو صاحب النعمة سواء أكانت مالاً أو علماً أو صحةً أو غيرَ ذلك ـ نقول له:

• أيها المحسود، حصن نفسك ضد أعين الحاسدين بالعقيدة السليمة الصحيحة، بعقيدة التوحيد؛ فالعقيدة الصحيحة حصن حصين لك من شياطين الإنس والجن، وحصن حصين لك من أعين الحاسدين.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣)، م: (٤٥).

ولذلك قال رسولنا ﷺ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(١)].

أي: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. احفظ الله يحفظك، يحفظك في مالك، في صحتك، في أولادك، في سيارتك وذلك بالعقيدة الصحيحة، وانظروا عبادَ الله، إلى كثيرٍ من أصحاب السيارات، لترى أحدهم يحفظ نفسه وسيارته بنعل يعلقه على السيارة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نقول لصاحب السيارة: نعلٌ، كفٌ، عينٌ، خرزةٌ أتحفظك من أعين الحاسدين! أين الله؟ احفظ الله يحفظك، تعليق النعل والكف والخرزة وما أشبه ذلك ـ أو الحجاب الصغير الذي يكتب عليه الحصن الحصين ـ كل ذلك شرك؛ لأنه قد تعلق في قلبك بأن هذا هو الحافظ.

الحافظ هو الله، تريد أن تكون أنت ومن معك في حصن حصين؟ عليك بعقيدة التوحيد بـ(لا إله إلا الله).

● أيها المحسود إذا أردت أن تكون في حصن حصين فتوكل على الله وحده، إياك أن تتوكل على النعل أو الخرزة أو الحجاب أو الكف، ولكن توكل على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه: أي: حافظه من كل شر: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

● أيها المحسود، تريد أن تكون في حصن حصين؟ استعذ بالله

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

والتجىء إلى الله في كل لحظة من أعين الحاسدين كما أمرك الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

• أيها المحسود، تريد أن تكون في حصن حصين من أعين الحاسدين؟ عليك بذكر الله، اذكر الله صباحاً ومساءً، أكثرْ من ذكر الله؛ لتكون دائماً في حصن حصين من أعين الحاسدين.

عباد الله! يقول ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا..**» إلى أن قال: «**وكونوا عباد الله إخواناً**». وقلنا: إن الناس مع الحسد قسمان:

قسم خبيث يتمنى إذا حسد أن تزول النعمة من عند أخيه، وهذا النوع مذموم وخبيث وصاحبه من شر الناس، وهو بهذا الحسد يزداد بعداً عن الله ويزداد بعداً عن قلوب البشر.

أما النوع الثاني من الحسد ـ وهو محمود ـ فهو الغبطة:

الغبطة معناها: أَن هذا الإنسان إذا نظر إلى أخيه المسلم ووجده في نعمة دعا الله ﷻ أن تزيد هذه النعمة عند أخيه، ودعا الله أن تدوم هذه النعمة لأخيه، وتمنى من الله أن يكون عنده مثل ما عند أخيه، هذه هي الغبطة وهذا هو الحسد المحمود.

يقول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاهُ الله مالاً فسلَّطهُ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها**»[(١)] فاحرص أن تكون على مثل هذا فهذا هو الحسد المحمود، الذي حفظ القرآن ويعلمه للناس ويقوم به آناء الليل وآناء النهار، والرجل الذي أعطاه الله مالاً كثيراً من حلال فهو يقول به هكذا في سبيل الله بالليل والنهار، فتمنى أن تكون مثل هذا وهذا فالله ﷻ قال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٣)، م: (٨١٦).

[المطففين: ٢٦]، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]؛ فالتنافس على الخير من شيم المؤمن، إذا وجدت إنساناً عنده مال فادع الله أن يزيد ماله، وأن يبارك له في ماله، واطلب من الله أن يعطيك مثله، وإذا وجدت إنساناً يحفظ القرآن فاطلب من الله عز وجل أن يزيده علماً واطلب من الله أن تكون مثله، وإذا وجدت إنساناً له أولاد يحفظون القرآن فادع الله عز وجل أن يبارك له فيهم، واسأل الله أن يجعل أولادك مثلهم، أما أن تتمنى زوال النعمة فهذا من شيم وأخلاق إبليس، وهذا من فعل اليهود ومن شيم اليهود، أما المؤمن الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والذي يريد الجنة فهو لا يحسد الناس أبداً ولكنه يغبطهم ويتمنى أن يكون مثلهم.

نسأل الله العظيم أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



١٠٥

الوصية الرابعة والثلاثون:
«أخوف ما أخاف على أُمتي...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والثلاثين:

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»(١).

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذرنا من المنافق عليم اللسان؛ لأن المنافق قد فسد قلبه بالنفاق، وفسد لسانه بالكذب، فهو رجل فاسد ظاهراً وباطناً؛ لأن الرسول ﷺ أخبرنا أن القلب إذا فسد فسد الجسد كله، وأخبرنا أن اللسان إذا اعوج اعوجت الأعضاء كلها، والمنافق عليم اللسان فاسد القلب بالنفاق، وفاسد اللسان بالكذب، وهذا الصنف من البشر شرٌ ووبالٌ على البشرية عامة، وعلى المؤمنين خاصة فهو من شر الناس، وهو من أخطر الناس على الأمة الإسلامية.

يُفْسِدْ في الأمة بقلبه الذي امتلأ نفاقاً، ويفسد بلسانه الذي ترعرع على الكذب، ولذلك يا أمة الإسلام، فالله عز وجل كثيراً ما يحذرنا في كتابه من المنافقين، وقد وصفهم لنا لنكون منهم على حذر، فاعرفوهم يا عباد الله لتكونوا منهم على حذر، فهم كثيرون يتكلمون بألسنتنا، وهم من جلدتنا، يبطنون الشر والكفر في قلوبهم، ويظهرون الإسلام على جوارحهم.

---

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٢٢)، [«ص.ج» (١٥٥٤)].

● إذا نظرت إليهم أعجبتك أجسادهم، وإذا تكلموا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسندة هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

● من صفات المنافقين الكسل والرياء في العبادة. كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

● ومن صفاتهم التذبذبُ بين الكفر والإيمان، فلا هم مع الكفار ظاهراً وباطناً ولا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]؛ بل هم للكفر أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

● ومن صفاتهم: الكذب بالليل والنهار، الكذب في جميع الأقوال والأفعال، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

● ومن صفات المنافقين: أن الواحد منهم له لسانان ووجهان، وجه ولسان يلقى به المؤمنين، ووجه ولسان يلقى به الشياطين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

● ومن صفاتهم: أننا إذا دعوناهم إلى التمسك بالكتاب والسنّة أعرضوا ورفضوا، ونفروا واتهمونا بما نحنُ منه برآء، والله أخبرنا عن ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ـ أي: للمنافقين ـ ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ـ أي الكتاب ـ ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ـ أي: السنّة ـ ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

• ومن صفاتهم: أنهم لا يطلبون العزة بالإسلام، ولكن يطلبون العزة بموالاة الكفار، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا دعوا إلى منهج الصحابة رضوان الله عليهم أعرضوا واتهموا من دعوهم بالسفاهة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ ـ والناس هنا هم الصحابة ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا نزل بالمؤمنين الخير أحزنهم ذلك، وإذا نزل بالمؤمنين الشر فرحوا لذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة: ٥٠].

• ومن صفاتهم: أن الواحد منهم يشبه الآخر، بعضهم يشبه بعض جميعهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا علموا خيراً عن مؤمن كتموه، وإذا علموا شراً عن مؤمن أذاعوه، وفضحوه، ونشروه بين الناس، ولذلك قال بعض الصالحين: (المنافق يفضح، والمؤمن يستر)، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، وقد توعَّد الله ﷻ الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

عباد الله! هذه هي صفاتهم، وقد حذرنا الله من هؤلاء فهم شر بقلوبهم، وشر بألسنتهم، وقال الله عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

عباد الله! **وأما العذاب الأليم الذي توعد الله به المنافقين في الدنيا والآخرة:**

ففي الدنيا: أوجب الله ﷻ على رسوله ﷺ جهادهم، كما أوجب عليه جهاد الكفار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم: ٩].

ثانياً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يصلي على موتى المنافقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة: ٨٤].

ثالثاً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يستغفر للمنافقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٨٠].

رابعاً: الله ﷻ لم يتقبل منهم أعمالهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ﴾ [التوبة: ٥٣].

خامساً: الله ﷻ لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ۝١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧]. هذا عذابهم الأليم في الدنيا.

أما عذابهم في الآخرة:

يوم يرجعون إلى الله فسيحشرهم الله حول جهنم هم والشياطين جثيًّا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨].

ومن عذابهم على الصراط: أن الله ﷻ يحرمهم النور الذي يمشون به مع المؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ﴾ ـ أي المنافقون ـ ﴿أَلَمْ نَكُن

مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥].

والله ﷻ يجمع بين المنافقين وبين من أحبوهم في الدنيا، فالمنافقون في الدنيا أحبوا الكفار فيحشرهم الله مع الكفار في نار جهنم، سبحانك ربنا ما أعدلك! تجمع بين المرء وبين من أحب في الدنيا، فمن أحب الكفار والمنافقين حُشر معهم، ومن أحب المؤمنين والصالحين حشر معهم، يقول ﷺ: «**المرء مع من أحب يوم القيامة**»(١).

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وأين يوضع هؤلاء الذين أساءوا للبشرية؟ سيوضعون في الدرك الأسفل من النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

عباد الله! يقول ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**».

• المنافق يا عباد الله: مريض قلبه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

• وهو مريض اللسان، كما قال ﷺ: «**إذا حدث كذب**»(٢)، وقد حذرنا الله من المنافقين بعد أن وصفهم لنا لنكون منهم على حذر، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من المنافقين بعد أن وصفهم لنا لنكون منهم على حذر.

عباد الله! ومع ذلك فالله ﷻ الغفور الواسع المغفرة بعد أن فضح المنافقين، وبعد أن أعلمهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فتح

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٨١٧)، م: (٢٦٤٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).

أمامهم أبواب التوبة لمن أراد أن يتوب منهم، فالله ﷻ غفور رحيم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فالله ﷻ فتح أبواب التوبة أمام الكفار ودعاهم أن يتوبوا عن كفرهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وفتح الله أبواب التوبة أمام اليهود والنصارى بعد أن قالوا: إن المسيح ابن مريم هو الله، وبعد أن قالوا: عزير ابن الله، ومع ذلك قال لهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٤].

وفتح أبواب التوبة أمام المنافقين بعد أن فعلوا ما فعلوا، وبعد أن قالوا ما قالوا، فالله ﷻ أخبرهم أنه قادر على إحياء قلوبهم التي ماتت بالنفاق إذا تابوا إليه كما يحيي الأرض بعد موتها، ولذلك بعد أن ذكر المنافقين في (سورة الحديد) وطلب منهم أن يتوبوا إليه، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ففتح ربنا جل وعلا أبواب التوبة أمام المنافقين وأمام كل من أراد أن يتوب قبل أن ينزل عليه ملك الموت، ولكن توبة المنافقين يا عباد الله هذه تكون بشروط:

- إلا من تاب، والتوبة لها شروط تعرفونها.
- وأصلحوا؛ أي: أصلحوا ما أفسدوا بألسنتهم.
- واعتصموا بالله وحده بعد أن كانوا يعتصمون بالكفار.
- وأخلصوا دينهم لله بعد أن كانوا يعملون للناس؛ كانوا إذا صلّوا

صلّوا للناس، وإذا جاهدوا جاهدوا للناس، وإذا أنفقوا أنفقوا للناس، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

فإن تابوا فعليهم أن يخلصوا دينهم لله لينجوا بإخلاصهم من عذاب الله.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينجينا وإياكم من النفاق

❁ ❁ ❁

١٠٦

الوصية الخامسة والثلاثون:
«اعبد الله كأنك تراه...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة والثلاثين:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتقِ دعوة المظلوم، فإنها مستجابة**»(١).

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يبين لأمته طريق النجاة، وطريق السعادة أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الطاعة سبب لنجاة العبد في الدنيا والآخرة، ولأن المعصية سبب لشقاء العبد في الدنيا والآخرة، وهذه الوصية العظيمة التي بين أيدينا من أخذ بها وعضَّ عليها بالنواجذ دفعته إلى الطاعة ومنعته من المعصية.

• فرسولنا ﷺ يقول فيها لكل مسلم: «**اعبد الله كأنك تراه...**»، فإذا عاش المسلم في هذه الدنيا بهذا الشعور، وتعامل مع الله عز وجل بهذه العقيدة، وعلم أن الله يراه أينما ذهب دفعه ذلك إلى طاعة ربه ومنعه ذلك عن المعصية.

• ويقول ﷺ في وصيته لكل مسلم: «**واحسب نفسك مع الموتى**»، فالإنسان منا إذا عد نفسه من الموتى استعد للموت قبل نزوله، واستعد

---

(١) **حسن**: ش: (٧/ ٢٤٢)، حل: (٨/ ٢٠٢)، [«ص.ج» (١٠٣٧)].

للرحيل قبل الرحيل، فيدفعه ذلك الاستعداد إلى الإقبال على الطاعة، والابتعاد عن المعصية.

• ويقول ﷺ لكل مسلم: «**واتقِ دعوة المظلوم فإنها مستجابة**»، فإذا علم واعتقد المسلم أن المظلوم إذا دعا عليه استجاب الله له، دفعه ذلك إلى الابتعاد عن الظلم؛ لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

أمة الإسلام! واللهِ إنها لوصية عظيمة، وموعظة بليغة من رسولنا الكريم ﷺ إذا أخذنا بها تغيرت أحوالنا، وتبدل حالنا إلى غير ما نرى.

إذا اعتقد كل منا أن الله يراه، إذا اعتقد كل منا أنه سيموت، إذا اعتقد كل منا أن المظلوم إذا قام في جوف الليل يدعو على الظالم استجاب الله له انحلت مشاكلنا، وتغيرت أحوالنا، ورضي الله عنا.

ابن آدم! ربِ نفسك على مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، بالليل والنهار؛ لأن الله مطلع عليك وناظر إليك، أينما كنت وأينما ذهبت كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

ابن آدم! ربِ نفسك على مراقبة الله ﷻ؛ لأن الله وكَّل بك ملكين كريمين يسجلان عليك كل شيء من خير أو من شر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾